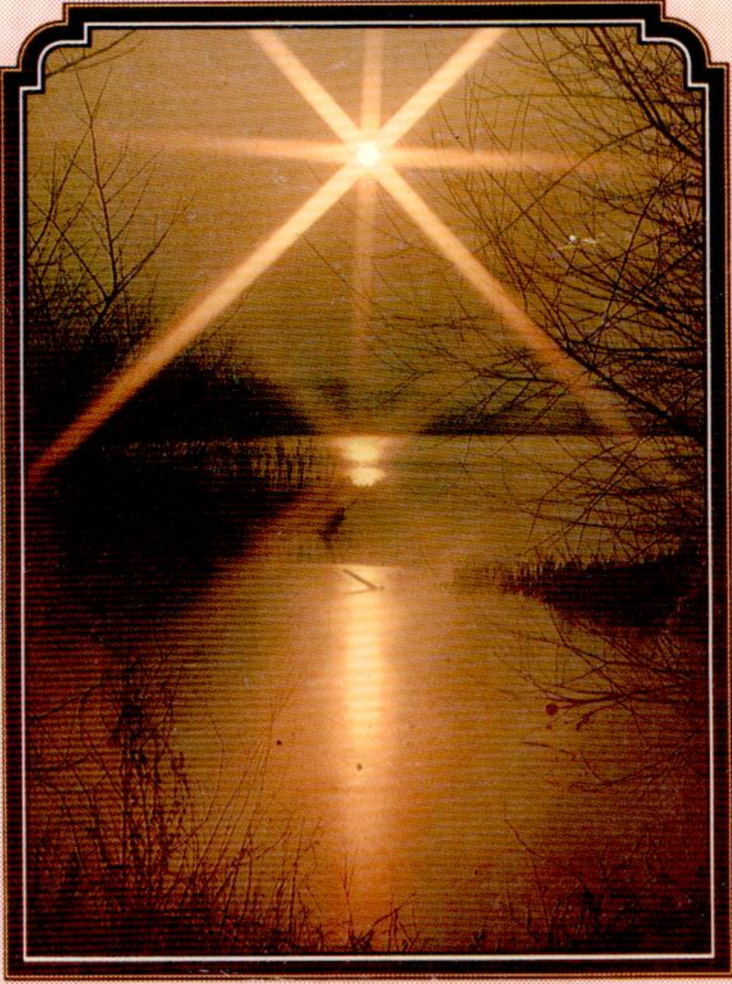
الانسان الروحى

وتشمان نى

الجزء الثالث

THE SPIRITUAL MAN



الانسان الروحى

وتشمان نى

الجزء الثالث

النفس

ترجمة

لويس كامل ـ ايفا وهيب

١٩٨٨

اهـــداء ..

إلى السـائرين و السـاعين
للسير على درب المشيئة الالهـية
بعيدا عن الضلال
و دروب الظلام
اهدى هذا الكتاب

م . م

الفهرس

مقدمة الناشر

إن كتاب الإنسان الروحى هو الكتاب الوحيد الذى كتبه واتشمان نى بنفسه .. وفى وقت كتابة هذا الكتاب كان الأخ نى مريضاً لدرجة أنه كان يظن أن هذا هو آخر عمل سوف يستطيع أن يقدّمه للكنيسة .. ولكن نعمة الله كانت أقوى من كل توقع .

بعد نشر هذا الكتاب بعدة سنوات ، قال الأخ نى فى إحدى المرات أنه يخشى أن هذا الكتاب يتحول إلى مجرد مرجع نظرى وليس مرشد عملى كما كان يريده أن يكون ، وأنه لهذا السبب لا ينوى أن يعيد طباعته مرة أخرى .. ولكن أمام الإحتياج الكبير الذى يعانى منه المؤمنون اليوم ، فى مجال الحياة الروحية والجهاد الرُوحى ، فإننا متأكدون أن الأخ واتشمان نى كان بلا شك سوف يسمح لنا بطباعته باللغة العربية ، وذلك لأننا نعرف أنه كان شخصاً منفتحاً دائما لطرق الله ، ومستعداً دائما لخدمة شعب الرب بكل العطايا التى أعطاها الله له .

وكتاب الإنسان الروحى يتكون من عشرة أجزاء وهى :

١ ـــ الإنسان ـــ روح ونفس وجسد

٢ ــ الطبيعة الجسدية

٣ ــ النفس

٤ ــ الروح

٥ ــ وظائف الروح

٦ ــ السلوك بالروح

٧ ــ مكونات النفس ــ العاطفة

٨ ــ مكونات النفس ــ الذهن

٩ ــ مكونات النفس ــ الإرادة

١٠ ــ الجسد

ولقد فضلنا أن ننشر كل جزء على حدة وذلك لعدة اعتبارات فنية وروحية .. فبهذه الطريقة ، سوف يتمكن كل من يهتم بجزئية خاصة من أجزاء الكتاب أن يحصل عليها منفصلة ، وفى نفس الوقت يستطيع أن يحصل على الكتاب كاملًا باقتناء جميع الأجزاء معاً .

أما من الناحية الروحية ، فإننا لا نقصد إطلاقاً أن نضيف إلى مكتبة القارىء كتاباً جديداً ، لأن هذا بعيد عن ذهننا تماماً ولكن كل قصدنا هو تقديم رؤية روحية دقيقة وأمينة تمس عبادتنا وحياتنا الروحية وسلوكنا الروحى وممارساتنا الروحية ، وخاصة أننا

هنا فى مصر (وأستطيع أن أقول فى الشرق) نمارس حياتنا الروحية بأساليب أقرب الى الخطأ منها إلى الصواب ، وأقرب إلى الجهل منها إلى الفهم ، حتى أن العبادة النفسية أصبحت تطغى على العبادة الروحية الحقيقية المبنية على الفهم والادراك لكلمة الله .

لذلك فإننا أمام التشويه الرهيب الذى تُشوه به اختبارات الروح القدس ، كنا نود أن نقدم كلمة حق تُعبِّر عن الفكر المسيحى بخصوص هذه الممارسات .. ولكننا عندما قرأنا هذا الكتاب وشعرنا بمدى إدراك الكاتب لأخطار هذه العبادة النفسية كان اتفاقنا على تقديم هذا الكتاب للقارىء بدون أى تصرف أو حذف ، خاصة وأن الكاتب هو أخ مؤمن عاش مع الله حياة روحية حقيقية ، وإن كان هو بنفسه قد اجتاز مرحلة من العبادة النفسية وأدرك ما لهذا الأسلوب من خطورة على علاقة الإنسان بالله وبالمجتمع وبالكنيسة .. ولذلك فإننا قد رأينا أن نُقدِّم الكتاب على أجزاء حتى يكون فى متناول الشباب الذين هم ضحية هذه العبادة النفسية فى وقتنا الحاضر ، وحتى يتمكنوا من قراءته بسهولة ويسر .

لن نزيد على هذا الكلام ، ولكننا نترك القارىء مع واتشمان نى والإنسان الروحى .. راجين لفت نظر القارىء الكريم

إلى أن هذا الكتاب يُقدّم الأسلوب الصحيح لممارسة جميع العطايا الإلهية للإنسان فى وقت يسكب فيه الله من روحه ويعطى عطاياه ، بينما يحاول عدو كل بر أن يشوه عطايا الله .

نصلى لأجلك أيها القارىء الكريم ولأجل هذه الكلمات التى كتبها أخ لنا فى المسيح ، ودمتم فى حماية الرب .

عنواننا : ص.ب. ٢٤٥٥ الحرية ـــ هليوبوليس

١ ـ التحرر من الخطية و الحياة النفسانية

التحرر من الخطية

يكلمنا الإصحاح السادس من رسالة رومية عن الأساس الكتابى للتحرر من الخطية ، وهو شيء قد أعده الله لجميع المؤمنين بلا استثناء .. ودعونا نكون واضحين فى هذه النقطة : أن التحرر من سلطة الخطية شيء يستطيع الخاطيء أن يختبره فى نفس لحظة قبوله للرب يسوع كمخلص له وحصوله على الولادة الثانية .. فالإنسان لا يحتاج أن يكون مؤمناً لمدة طويلة أو أن يمر بهزائم عديدة قبل أن يصل إليه هذا الحق .. ولكن تأخُّر البعض فى قبول تعليم رومية ٦ يكون إما بسبب نقص البشارة التى وصلت إليهم ، وإما بسبب عدم استعدادهم أن يخضعوا بالكامل لها .. ولكن هذه البركة فى الواقع ينبغى أن تكون من نصيب جميع المولودين ولادة ثانية على حد سواء .

يبدأ أصحاح ٦ بنظرة إلى الماضى وليس إلى المستقبل ، فهو يُذكِّرنا أولاً بالأشياء التى قد حصلنا عليها فعلاً ، فيقول : « عالمين هذا أن **إنساننا العتيق** قد صُلب معه ، ليبطل **جسد الخطية** كى لا نعود نُستعبد أيضاً **للخطية** » (رو ٦:٦) .. وفى هذه الآية نجد ثلاثة أشياء رئيسية :

١ــ الخطية

٢ــ الإنسان العتيق

٣ــ جسد الخطية

هذه الأشياء الثلاثة تختلف اختلافاً جوهرياً فى طبيعتها ، وتلعب أدواراً مختلفة فى فعل الخطية :

فالخطية هى ذلك السيد الذى كنا قبلاً مُستعبدين له .. فالكتاب المقدس يخبرنا أننا كنا عبيداً للخطية .. ومن هنا يجب أن نفهم أن الخطية لها سلطان ، وأنها تمارس هذا السلطان بصفة مستمرة لكى تجعلنا نطيع إنساننا العتيق وهكذا نخطىء .

والإنسان العتيق هو مجموع الأشياء التى ورثناها من آدم .. ونستطيع بسهولة أن نعرف ما هو الإنسان العتيق إذا عرفنا ما هو الإنسان الجديد ، لأن كل ما لا ينتمى إلى الجديد لا بد وأن ينتمى إلى العتيق .. فالإنسان الجديد يشمل كل الأشياء الجديدة التى حصلنا عليها بالميلاد الثانى ، وبالتالى فإن الإنسان العتيق يكون هو كل شىء فينا لا يدخل تحت بند الإنسان الجديد ، أى شخصيتنا القديمة وطبيعتنا القديمة بجميع متعلقاتها .. وإنساننا العتيق هذا يحب الخطية ويخضع لها ، ولهذا السبب نحن نخطىء .

أما **جسد الخطية** فهو جسدنا هذا .. فإن جسد الإنسان هو الذى يقوم بتنفيذ الخطية .. ولقد دُعى اسمه « جسد الخطية » لأنه أيضاً خاضع لسلطان الخطية ومشحون بالشهوات والرغبات الخاطئة .. فالخطية تُعبِّر عن نفسها من خلال الجسد ، وإلا فإنها كانت ستصبح مجرد قوة غير ملموسة .

فالخطية هى القوة التى تجعلنا نخطىء ، **والإنسان العتيق** هو الأشياء غير المادية التى ورثناها من آدم ، بينما **جسد الخطية** هو الشىء المادى الذى ورثناه منه .

وأثناء فعل الخطية يكون ترتيب الأدوار كما يلى : أولاً الخطية ثم الإنسان العتيق ، ثم الجسد .. **فالخطية** تمارس سلطانها فى جذب الإنسان وإرغامه على طاعتها .. وحيث أن **الإنسان العتيق** يحب الخطية ، فإنه يتعاطف معها وينحنى أمامها مُحرّضاً الجسد على عمل الخطية .. أما **الجسد** فإنه يكون الأداة النهائية التى تقوم بتنفيذ الخطية فعلاً .. فهذه العناصر الثلاثة تشترك دائماً معاً فى ارتكاب الخطية : الخطية تأمر ، الإنسان العتيق ينجذب إليها ، الجسد يُنفِّذ .

كيف يستطيع الإنسان إذاً أن يتحرر من الخطية .. ؟ يفترض البعض أنه طالما أن **الخطية** هى السبب الأول ، إذ أنها هى التى تأمر ، فإننا يجب أن نُبطلها إذا كنا نريد أن ننتصر ، ولذلك فإنهم ينادون بمبدأ « **إستئصال الخطية** » ، قائلين أنه عندما يُنتزع أصل الخطية فإننا لن نخطىء فيما بعد بل سنصبح مقدسين تماماً

والبعض الآخر يقول أننا إذا كنا نريد أن ننتصر على الخطية يجب علينا أن نقمع أجسادنا لأن **الجسد** هو الذى ينفذ الخطية ومن هنا نشأ فى المسيحية أناس ينادون **بالتقشف والزهد** ، ويُذللون أنفسهم بشتى الطرق لعلهم يتغلبون على مطالب الجسد

وهكذا يصلون إلى القداسة .

ولكن طريق الله يختلف عن كل من هذين الطريقين .. فإن الله لا يستأصل الخطية من الداخل ، ولا يقهر الجسد من الخارج ، ولكنه يتعامل مع الإنسان العتيق الذى يقع بين الاثنين (رو ٦:٦) .

الأسلوب الإلهى للتحرر من الخطية

لقد أخذ الرب يسوع معه وهو ذاهب إلى الصليب ليس **خطايانا** فقط بل أيضاً **ذواتنا** .. هذا ما يعلنه لنا الرسول بولس بقوله : « أن إنساننا العتيق قد صُلب معه » .. وكلمة « صُلب » تعنى أن ذلك قد تم فى الماضى مرة وإلى الأبد .. فكما أن صلب المسيح شىء قد تم فعلاً ، كذلك فإن صلبنا معه قد تم أيضاً .. ليس أحد فينا ينكر حقيقة صلب المسيح ، فلماذا إذاً نشك فى حقيقة صلب إنساننا العتيق معه ..؟

إن مؤمنين كثيرين عندما يسمعون عن حقيقة الصلب مع المسيح يظنون أنهم يجب أن يبذلوا أقصى جهدهم لكى يتم تحقيق ذلك فيهم .. وهذا التصرف الخاطىء يكون إما بسبب نقص الفهم أو بسبب نقص الإيمان .. وهم لا يفعلون ذلك فقط ، بل يُعلِّمون الآخرين أيضاً أن يفعلوا نفس الشىء .. ولكن من الواضح

أنهم لا يجدون القدرة على التحرر من الخطية ولا على إماتة الإنسان العتيق .

إن الكتاب المقدس لا يطالبنا أبداً بأن نصلب ذواتنا .. بل على العكس ، فإنه يؤكد لنا أن المسيح عندما ذهب إلى الجلجثة أخذنا معه وصلبنا هناك .. **فهو لا يدعونا إلى صلب** إنساننا العتيق الآن ، ولكنه يخبرنا أنه قد تم صلبه منذ صلب المسيح .. فليست هناك أدنى إشارة فى كلمة الله تحرضنا على صلب ذواتنا ولا على انتظار تحقيق هذا الأمر ، بل أن رو ٦:٦ تحسم هذا الموضوع تماماً مؤكدة لنا أنه قد تم صلبنا فعلاً مع المسيح .

يا لها من حقيقة رائعة ، تلك التى يعلنها لنا الكتاب المقدس أننا « **فى المسيح** » .. فنحن **فى المسيح** لذلك نستطيع أن نقول أنه عندما ذهب المسيح إلى الصليب ذهبنا نحن أيضاً معه ، وعندما صُلب صُلبنا نحن أيضاً معه .

إن الاستيعاب العقلى لهذه الحقائق لا يكفى وحده ، لأنه لن يقدر أن يصمد عند التجربة .. لذلك فنحن نحتاج أن يُعلن لنا روح الله عن هذه المعانى:أننا فى المسيح وأن إنساننا العتيق قد صُلب مع المسيح .. هذا لا يمكن أن نفهمه بالعقل ، ولكننا نحتاج إلى كشف إلهى حتى نستوعبه .. **فعندما يكشف الله عن حق ما ، يتحول هذا الحق إلى طاقة فى داخلنا ، وهكذا يصبح**

فى مقدورنا أن نؤمن .. فالإيمان يأتى نتيجة للإعلان الإلهى .. وبدون إعلان لا يمكن أن يكون هناك إيمان .. وهذا يفسر لنا لماذا لا نجد الإيمان عند كثيرين ، فهؤلاء على الرغم من وجود الفهم العقلى عندهم ، إلا أنه ينقصهم الإعلان الإلهى .. لذلك أيها الإخوة ، نحن نحتاج أن نصلى حتى يعطينا الله إعلاناً وكشفاً فى أرواحنا حتى نستطيع أن نعترف بحق أن « إنساننا العتيق قد صُلب معه » .

وما هى نتيجة صلب إنساننا العتيق ..؟ يعطينا الكتاب المقدس الإجابة الواضحة وهو أنه « **لكى يُبطل جسد الخطية** » (رو ٦:٦) .. وكلمة « يبطل » معناها أن هذا الجسد « يذبل » أو « يصبح غير مستخدم » .. فلقد كان إنساننا العتيق يتجاوب قبلاً مع الخطية وبالتالى فإنه كان يقود الجسد إلى عمل الخطية .. أما بعد صلب الإنسان العتيق واستبداله بالإنسان الجديد ، فإن الخطية ما زالت تحاول أن تمارس ضغوطها ولكنها لا تجد التجاوب المعهود من جانب الإنسان العتيق .. لذلك فإن الخطية لن تستطيع أن تسود على هذا المؤمن ، لأن إنسانه العتيق قد مات وأصبح هو إنساناً جديداً .. أما الجسد فقد كانت وظيفته قبلاً هى فعل الخطية ، ولكن جسد الخطية هذا أصبح الآن غير مُستخدم لأن الإنسان العتيق قد مات .. شكراً للرب من أجل كل هذه الأشياء التى أعدها لنا .

ولماذا يصلب الله إنساننا العتيق مع المسيح جاعلاً أجسادنا بلا عمل .. ؟ إن غرض الله هو أن « **لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية** » .. لقد عمل الله كل ما يلزم لنا حتى نستطيع أن نصمد أمام ضغوط الخطية وأن نتحرر من سلطانها .. الخطية لن تسودنا فيما بعد .. هللويا ، شكراً للرب من أجل هذا التحرير .

عنصران أساسيان

ولكن كيف يمكننا أن نحصل على هذه البركة .. ؟ هناك عنصران أساسيان لا غنى عن أى منهما : **عنصر الإيمان** ، **وعنصر الطاعة** .

أولاً ، « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ١١) .. **هذا هو عنصر الإيمان** .. فعندما يقول الله أن إنساننا العتيق قد صُلب مع المسيح ، علينا أن نصدق كلمته « ونحسب أنفسنا أمواتاً » .. كيف نموت إذاً ؟ بأن « نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية » .. وعندما يقول الله أننا قمنا مع المسيح ، علينا أيضاً أن نثق فى كلمته ونحسب أنفسنا « أحياء لله » .. فكلمة « نحسب » معناها نصدق الله ونصدق كلمته .. عندما يقول أننا متنا علينا أن نحسب أنفسنا أمواتاً ، وعندما يقول أنه أحيانا علينا أن نحسب أنفسنا أحياء .

إن فشل الكثيرين فى هذه النقطة يرجع إلى رغبتهم فى أن يشعروا وأن يروا وأن يختبروا هذا الموت وهذه القيامة قبل أن يثقوا فى كلمة الله .. إنهم لا يدركون أن الله قد تمم ذلك فعلاً فى المسيح وأنهم إذا استطاعوا فقط أن يصدقوا كلمة الله بأن يحسبوا أن ما فعله الله قد تم فعلاً ، فإن روح الله لا بد أن يمنحهم الاختبار وينقل إليهم ما هو لهم فى المسيح .

ثانياً ، « ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضائكم آلات بر لله » (رو ٦ : ١٣) .. **هذا هو عنصر الطاعة** .. فإذا كنا نُصرّ على التمسك بشىء يريدنا الله أن نتخلى عنه ، فإن الخطية لا بد أن تسود علينا ، ويصبح إيماننا بلا جدوى .. فإذا لم نقدم أعضاءنا آلات بر لله حتى نعمل ما يريده هو أن نعمل ، ونقول ما يريده هو أن نقول ، ونذهب إلى حيث يريدنا هو أن نذهب ، فإننا يجب ألا نندهش بعد ذلك إذا وجدنا أنفسنا أننا لم نتحرر من الخطية .. فمتى رفضنا أن نطيع الله وأن نتجرد بحسب إرادته ، فإن الخطية سوف تعود وتسود علينا .. وفى هذه الحالة يكون من البديهى أننا نفقد أيضاً العنصر الأول وهو الإيمان بكلمة الله . ولكن هل نستطيع عندئذ أن نقول أننا لا زلنا « فى المسيح » ..؟ نعم ، نحن نظل « فى المسيح » ولكننا لا نكون « ثابتين فيه » بالمعنى المذكور فى (يوحنا ١٥) ، وبالتالى نكون غير قادرين أن

نمارس اختبارياً ما هو لنا فى المسيح .

وهكذا فإن كل هزائمنا ترجع إما إلى عدم الإيمان أو إلى عدم الطاعة .. ليس هناك سبب آخر غير هذين السببين .. قد تكون الهزيمة بسبب أحدهما أو كليهما معاً .. لذلك يجب علينا أن نتعلم كيف نحيا « فى المسيح » بالإيمان ، وكيف نرى أنفسنا مرتبطين به على الدوام ، وكيف نثق يقيناً أن كل ما ينطبق على المسيح ينطبق علينا نحن أيضاً .. ومن الناحية الأخرى يجب علينا أن نتعلم بنعمة الله أن تكون طاعتنا له كاملة ، وأن نحسب كل شىء نفاية لأنه ليس هناك شىء فى العالم لا نستطيع أن نتخلى عنه لأجل الرب وليس هناك شىء يستحق أن نحتفظ به لأنفسنا .. فلنكن مستعدين دائماً أن نقبل مطالب الله ، مهما كانت صعبة أو غير متفقة مع مطالب الجسد ، لأننا إذا كنا نريد فعلاً أن نرضيه فسوف نقدر بسهولة أن نضحى بكل شىء .. ليتنا نتعلم كل يوم أن نكون أولاداً مطيعين لله .

ومتى حسبنا أنفسنا أمواتاً ، وقدمنا أعضاءنا لله ، فإننا لا بد أن نتمتع بتحقيق الوعد الكتابى القائل أن : « الخطية لن تسودكم »
(رو ٦ : ١٤) .

العلاقة بين الخطية والجسد

عندما يعرف المؤمن حقيقة موته مع المسيح ، ويختبر إلى حد ما النُصرة على الخطية فإنه يكون قد دخل إلى مرحلة خطيرة فى حياته .. فإذا وجد فى هذه المرحلة تعليماً سليماً ، وسمح للروح القدس أن يُطبِّق الصليب عليه بصورة أعمق ، فإنه لا بد أن يصل إلى النضج الروحى .. أما إذا اكتفى باختباره هذا واعتبر أنه قد وصل إلى قمة حياة النصرة ، وهكذا منع الصليب من أن يتعامل مع حياته النفسانية ، فإنه سوف يظل فى نطاق النفس ولن يقدر أن ينتقل إلى مجال الروح .. فمع أن الصليب يكون قد تعامل مع **إنسانه العتيق** إلا أنه لا يكون قد تعامل مع **حياته النفسانية** ، وهكذا فإن عقله وإرادته وعواطفه سوف تظل تعمل بلا ضابط ، وتكون النتيجة أن اختباره يظل متعلقاً بالمجال النفسى فقط .

فإن ما نحتاج أن نعرفه فعلاً هو : إلى أى مدى كان تأثير هذا التحرر من الخطية على كياننا ..؟ ما هى الجوانب التى لمسها هذا الاختبار فى حياتنا وما هى الجوانب التى لم يلمسها بعد ..؟ إننا نحتاج أن نفهم جيداً أن هناك علاقة خاصة بين الخطية وبين أجسادنا .. فنحن بخلاف الكثير من الفلاسفة لا نعتبر الجسد خاطئاً فى حد ذاته ، ولكننا نعترف أن الجسد هو المملكة التى

تسود عليها الخطية .. وفى رو ٦:٦ يطلق الروح القدس على جسدنا اسم « جسد الخطية » لأنه لا يستطيع إلا أن يكون هكذا قبل أن يتعامل الصليب معنا وقبل أن نقدم أعضاءنا كآلات بر لله .. فالخطية كانت تسيطر على أجسادنا وتُرغمها على تنفيذ أوامرها .. أى أن جسدنا كان بمثابة قلعة للخطية ، يقوم بحمايتها وخدمتها ، ولذلك فإنه كان يليق به اسم « جسد الخطية » .

تُكلمنا رسالة رومية فى الأصحاحات ٦ و ٧ و ٨ عن التحرر من الخطية .. وإذا قرأناها بعناية فإننا لا بد أن نكتشف ليس فقط نوع العلاقة التى بين أجسادنا وبين الخطية ، بل سنكتشف أيضاً الخلاص الكامل الذى أعده الله لتحرير أجسادنا من خدمة الخطية حتى تقدر أن تخدمه هو .

ففى رومية ٦ يكتب الرسول بولس هذه الأقوال :

« ليُبطل جسد الخطية » (رو ٦:٦)

« إذاً لا تملكنَّ الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته » (رو ١٢:٦)

« لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية » (رو ١٣:٦)

« قدموا ذواتكم لله ... وأعضاءكم آلات بر لله » (رو ١٣:٦)

وفى رومية ٧ يتكلم عن الجسد فيقول :

« لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا ... تعمل فى أعضائنا

لكى نثمر للموت » (رو ٧:٥)
« ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى » (رو ٧:٢٣)
« يسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى » (رو ٧:٢٣)
« من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ » (رو ٧:٢٤)

ثم فى رومية ٨ يقول بوضوح :

« الجسد ميت بسبب الخطية » (رو ٨:١٠)
« سيُحيى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » (رو٨:١١)
« إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨:١٣)
« فداء أجسادنا » (رو ٨:٢٣)

من هذه الأقوال نستطيع أن نفهم كيف أن الله يهتم اهتماماً خاصاً بأجسادنا .. فإن الله يعرف أن الجسد هو النطاق الذى تُمارس فيه الخطية نشاطها، وأنه لهذا السبب قد أصبح الإنسان عبداً للخطية .. وأنه عندما يكف الجسد عن خدمة الخطية ، فإن الإنسان لا يعود يصبح عبداً لها .. لذلك فإننا نستطيع أن نعتبر أن تحرر الإنسان من الخطية هو فى حقيقة الأمر تحرر الجسد من سلطة الخطية ومن قوتها .

إن هدف الله من صلب إنساننا العتيق هو أن يحرر أجسادنا من سلطة الخطية .. فعندما يُصلب الإنسان العتيق ويأتى مكانه الإنسان الجديد ، تنكسر سلطة الخطية على الجسد ،

لأن الخطية لا تستطيع أن تستخدم الجسد مباشرة بدون تعاون الإنسان العتيق .

فالتحرر من سلطة الخطية يعنى ببساطة أن الجسد هو الذى تحرر .. أما حياة النفس فهى تبقى كما هى ، وتظل هى قوة حياتنا إلى أن يتم التعامل معها هى أيضاً .. لذلك فإننا نكون مخطئين إذا اعتبرنا أن النصرة على الخطية هى ذروة الاختبار الروحى فاكتفينا بإبطال جسد الخطية غير عالمين أن حياة النفس تحتاج هى أيضاً أن تخضع لنفس المعاملة التى خضع لها الجسد .. إن حياتنا الروحية سوف تظل حياة ضحلة إذا توقف اختبارنا عند «إبطال جسد الخطية» ولم يمتد إلى « انكار حياة النفس » .

لقد سبق أن ذكرنا كيف أن النفس أو الذات يمكنها أن تقتحم مجال خدمة الله .. **فعلى الرغم من توقف نشاط جسد الخطية إلاّ أن النفس تظل نشيطة** .. وهى تُعبِّر عن نشاطها بوسائل متعددة ، ولكن جميع أنشطتها تشترك فى صفة واحدة وهى « الدوران حول الذات » .. فالمؤمنين النفسانيين يميلون إما فى اتجاه الإرادة أو العقل أو العاطفة ، ولكن مهما اختلفت المظاهر الخارجية إلا أنهم جميعاً لا يبتعدون أبداً عن « ذواتهم » .. فالذين يميلون فى اتجاه الإرادة ، سوف يشقون طريقهم بحسب **إرادتهم الذاتية** ويرفضون إرادة الله .. والذين لديهم نزعة طبيعية تجاه الأمور العقلانية ، سوف يسلكون بحسب **حكمتهم الشخصية** ويهملون

الالتفات الهادىء إلى إرشاد الروح القدس .. أما الذين يكون لديهم ميلاً طبيعياً تجاه العاطفة ، فإنهم سوف يبحثون فقط عن **المشاعر الممتعة** .. وكل واحد من هؤلاء يعتبر أن اتجاهه هو أسمى اتجاه ، مع أنهم فى الواقع يشتركون جميعاً فى شىء واحد وهو أنهم يعيشون فى نطاق النفس ، أى فى نطاق الأشياء التى كانوا يمتلكونها بالطبيعة قبل إيمانهم بالرب ، سواء كانت هذه الأشياء قدرات أو مواهب أو مهارات أو فصاحة أو جاذبية أو حماس .. فحياة النفس هى قوة الإنسان الطبيعية ، وهى تُعبِّر عن نفسها إما بالعناد أو بالغرور أو بالبحث عن الملذات .. لذلك فإن المؤمن الذى يعتمد على حياة النفس يكون فى الواقع معتمداً على قوته الذاتية التى لا بد أن تظهر فى أى من هذه الأشكال .. فالمؤمن الذى يرفض أن يسلم حياة النفس للموت بل يتركها تنمو وتزدهر لن يستطيع أن يُرضى الله ولا أن يثمر ثمر الروح القدس .

حياة النفس

عندما نقول أن النفس هى حياة الإنسان الطبيعية ، فإننا نعنى أنها هى القوة التى بها نظل أحياء فى الجسد .. فالنفس هى الحياة .. والكلمة الأصلية الواردة فى تك ١ : ٢١، ٢٤ للتعبير عن « المخلوقات الحية » هى كلمة « أنفس حية » ، وذلك لأن النفس هى الحياة التى تشترك فيها جميع الكائنات الحية سواء بشرية أو غير بشرية .. إنها الحياة التى يمتلكها كل إنسان ، أو الطاقة الطبيعية التى نحيا بها قبل حصولنا على الولادة الجديدة .

وكلمة « نفس » psuche تأتى فى قاموس اللغة اليونانية بمعنى « الحياة الحيوانية » ، وذلك لأن حياة النفس هى التى تجعل الإنسان كائناً حياً .. وليس من الضرورى أن تكون حياة النفس شريرة (بدليل أن المؤمنين يتغلبون على الكثير من الخطايا عن طريق صلب إنسانهم العتيق مع المسيح) ، ولكنها لا تستطيع أن تزيد عن كونها حياة الإنسان الطبيعية .. فهى الحياة الإنسانية ، المميزة للإنسان ، قد تكون طيبة ومتواضعة ومُحبة ، ولكن ذلك لا يمنع كونها بشرية .

إن **حياة النفس** تختلف تماماً عن **الحياة الجديدة** التى يعطيها لنا الروح القدس بالولادة الجديدة .. فالحياة التى يعطيها

لنا الروح القدس هى حياة الله غير المخلوقة ، أما حياة النفس فهى حياة الإنسان المخلوقة .. الحياة التى يمنحها لنا الروح القدس هى حياة فوق طبيعية ، أما حياة النفس فهى الحياة الطبيعية .. الحياة التى يمنحها الروح القدس هى الحياة العليا zoe ، أما حياة النفس فهى الحياة الدنيا psuche .

إن حياة النفس هى تلك القوة الموجودة بداخل الإنسان والتى تحرك كل عضو من أعضاء جسده .. أى أن **طاقة النفس فى الداخل تُعبِّر عن نفسها من خلال النشاط الجسمانى فى الخارج** .. فالنشاط الخارجى ليس إلا تعبير عن الطاقة الداخلية .. هذه الطاقة الداخلية غير المنظورة هى حياة النفس ، وهى التى يترتب عليها جميع أنشطة الإنسان وصفاته .

النفس والخطية

إن حياة النفس تزود الإنسان بالطاقة اللازمة لتنفيذ الأوامر التى تصدر إليه .. **فإذا كانت الروح هى التى تسود على الإنسان** ، فإن النفس سوف تمارس إرادتها وتتخذ قراراً فى صالح الروح .. **أما إذا كانت الخطية هى التى تسود** ، فإن النفس سوف تنقاد إلى اختيار ما تريده الخطية .. فالنفس تعمل مشيئة سيدها ، وذلك لأن وظيفتها هى تنفيذ الأوامر .. قبل سقوط الإنسان كانت النفس توجه طاقاتها لخدمة الروح ، ولكن بعد السقوط أصبحت تستجيب تماماً لأوامر الخطية .. وهكذا سادت الخطية على الجسد وعلى كل الذين يحيون فى الجسد ، واستعبدت النفس ، التى هى حياة الإنسان ، لإطاعتها .. **فأصبحت الخطية هى طبيعة الإنسان ، بينما أصبحت النفس هى حياة الإنسان** .. أى أن الخطية هى التى تحدد سلوكنا بينما النفس هى التى تمنحنا الطاقة للسلوك فى الخطية .. **الخطية تلقن الإنسان مبادئها ، بينما النفس تعطيه القدرة على عملها** .. هذه هى حالة الإنسان غير المؤمن .

ولكن عندما يقبل المؤمن نعمة ربنا يسوع المسيح ، ويؤمن به كبديل عنه على الصليب ، فإنه يحصل على حياة الله .. وحتى إذا كان لا يزال يجهل حقيقة صلبه مع المسيح ، إلا أن روحه تكون قد حصلت على حياة الله .. وهذه الحياة الجديدة تجلب

معها أيضاً طبيعة جديدة .. وهكذا يصبح فى الإنسان المؤمن **حياتين** هما : حياة النفس وحياة الروح ، **وطبيعتين** : طبيعة خاطئة وطبيعة إلهية .

وهاتين الطبيعتين ـالعتيقة والجديدة ، أو الخاطئة والإلهيةـ مختلفتان كل الاختلاف ولا يمكن التوفيق أو المزج بينهما بأى صورة من الصور .. فكل منهما تريد أن تسيطر على الإنسان .. وأثناء هذه المرحلة الأولية يكون المؤمن طفلاً فى المسيح لأنه يكون مؤمناً جسدياً .. ولذلك فإن اختباراته تكون متقلبة وصعبة ، تارة فى نصرة وتارة فى هزيمة .. إلى أن يأتى الوقت الذى فيه يسمع هذا المؤمن عن الحرية التى يستطيع الصليب أن يمنحها ، ويتعلم كيف يمارس إيمانه وكيف يحسب أن إنسانه العتيق قد صُلب مع المسيح وعندئذ فإنه يتحرر من الخطية التى كانت تشل حركته ، ويصبح فى استطاعته أن يكون منتصراً وأن يتمتع اختبارياً بالوعد « أن الخطية لن تسودكم » .

وبعد أن تصبح الخطية تحت أقدامه والشهوات وراء ظهره ، يدخل المؤمن إلى عالم جديد .. وربما يظن أنه قد أصبح الآن فى منتهى الروحانية ، إذ أنه عندما ينظر إلى الآخرين الذين لا يزالوا مستعبدين للخطية فإنه يتأكد أنه قد وصل إلى قمة الحياة الروحية ، مما يجعله يشعر بالزهو والبهجة ، ولا يعلم أنه لا يزال بعيداً كل البعد عن الروحانية الكاملة ، وأنه الآن ليس إلا مؤمناً نفسانياً .

المؤمن النفساني أو الجسدى

ولكن لماذا يكون المؤمن نفسانياً ..؟ إن ذلك يرجع إلى أن **حياة النفس** تظل مستمرة في هذا المؤمن على الرغم من أن الصليب يكون قد تعامل مع **طبيعته الخاطئة** .. ونحن نعرف أن الطبيعة الخاطئة هى مصدر كل الخطايا ، وأن النفس ليست إلا خادماً مطيعاً لها ، ولذلك فإنه عندما يموت الإنسان العتيق بصلبه مع المسيح ، فإن النفس تصبح غير خاضعة للخطية ، ولكنها تظل تمتلك قدرة ذاتية طبيعية بها يتحرك هذا المؤمن .. ونحن لا ننكر أن استبدال الطبيعة الخاطئة بالطبيعة الإلهية يجعل ميول هذه النفس واتجاهاتها ورغباتها طيبة ومهذبة ، ولكنها فى محاولتها لتنفيذ هذه الرغبات الجديدة ، فإنها تعتمد على طاقتها الذاتية .

إن الاعتماد على طاقة النفس لتنفيذ إرادة الروح هو بمثابة استخدام قوة إنسانية (أو طبيعية) لتحقيق أغراض إلهية (أو فوق طبيعية) .. إنها محاولة لإتمام مقاصد الله بقوة الذات .. والمؤمن فى هذه الحالة يكون عاجزاً عن عمل الصلاح على الرغم من أنه يكون قد تغلب على عمل الشر .. ولكن ما أقل المؤمنين الذين يكون لديهم الاستعداد أن يعترفوا بعجزهم ، وأن يعتمدوا إعتماداً كاملاً على الله .. فالمؤمن لا يمكن أن يُقرّ بعدم نفعه إلا إذا قادته نعمة الله إلى الاتضاع وإلى معرفة ذاته .

إن الإنسان يعتز جداً بقدراته ، ولذلك فهو لا يقبل بسهولة فكرة الاعتماد الكامل على الروح القدس فى عمل الصلاح ولكنه يريد بالحرى أن يستخدم طاقة النفس لتحقيق هذا الغرض .. إنه يحاول أن يُرضى الله باستخدام طاقته الذاتية ، بدلاً من أن يتعلم كيف تتقوى روحه بقوة الروح القدس لكى يتمكن من تنفيذ أوامر الطبيعة الجديدة .. وفى الواقع فإن هذا المؤمن لا تكون حياته الروحية قد تخطت بعد مرحلة الطفولة ، وهى لا تكون قد وصلت إلى النضج الكافى الذى به تستطيع أن تعلن طبيعة الله .. فالمؤمن الذى لا يعرف كيف ينتظر باتضاع أمام الله وكيف يعتمد عليه كل الاعتماد ، لا بد وأن يلجأ إلى قدراته النفسية والطبيعية لتنفيذ مطالب الله .. وهو لا يعلم أنه مهما كانت جهوده تبدو حسنة بحسب النظرة البشرية ، إلا أنها لا تستطيع أن تُرضى الله .. ولذلك فهو يميل إلى الخلط بين ما هو من الله وما هو من الإنسان .. فهو يحاول أن يستخدم وسائل أرضية للتعبير عن إرادة سماوية ، وهذا يجعله يعتمد أكثر على حياة النفس بدلاً من أن يتقدم نحو الروحانية .

وإذا كنا لا نفهم ما هى **حياة النفس** ، فلنعتبر ببساطة أنها هى ما نسميه عادة « **حياة الذات** » .. وللأسف فإن مؤمنين كثيرين لا يفرقون بين الخطية وبين الذات ، فيظنون أنهما شىء واحد غير عالمين أنهما مختلفان تماماً سواء من الناحية الكتابية أو

الإختبارية .. فالخطية هى شىء نجس موجه ضد الله ، أما الذات فهى ليست دائماً هكذا ، بل على العكس فهى فى أحيان كثيرة تكون لطيفة ومتعاونة ومحترمة .. ولنأخذ على سبيل المثال : قراءة الكتاب المقدس .. فإن قراءة الكتاب المقدس هى بلا شك عمل جميل ، ومحاولة فهم الكتاب المقدس بالاعتماد على المواهب **والقدرات الطبيعية لا يمكن أن تُعتبر خطية ، إلا أنها تكون من أعمال الذات** .. وخدمة الكلمة أيضاً إذا كانت تتم بالأساليب التى تتفق مع فكر الإنسان الشخصى ، فهى تكون نابعة من الذات .. والسعى نحو النمو الروحى ، فى كثير من الأحيان يكون بدافع من الذات ، ربما لأن الشخص لا يحتمل أن يكون متخلفاً عن الآخرين وربما لأنه يريد بعض المكاسب الشخصية .. وبوجه عام فإن عمل الخير لا يمكن أن يكون **خطية** ، ولكن الدوافع والوسائل المستخدمة فى عمل هذا الخير كثيراً ما تكون ممتلئة من **الذات** .. فهو يكون نابعاً من الصلاح الطبيعى فى الإنسان وليس من الصلاح الفوق طبيعى الذى يمنحه الروح القدس بالولادة الجديدة .. إن مؤمنين كثيرين يمتلكون عطفاً وصبراً وشفقة طبيعيين ، وهذه الصفات بالطبع لا يمكن أن تكون خطية ، ولكن لأنها تنبع من الذات وتنتمى إلى الحياة الطبيعية فهى لا يمكن أن تفوز برضى الله .. وذلك لأنها لم تتم بالاعتماد على روح الله بل بالاعتماد على قوة الذات .

هذه بعض الأمثلة القليلة التى توضح لنا كيف أن الخطية تختلف عن الذات .. وكلما تقدمنا فى طريقنا الروحى سوف نكتشف مزيداً من الحالات التى لا تدخل تحت بند **الخطية** ولكنها تدخل تحت بند **الذات** .. وفى الواقع فإن الذات لديها قدرة عجيبة على التغلغل حتى فى **أقدس الأعمال وأسماها** .

كثيراً ما يظن أولاد الله أن تحررهم من سلطة الخطية بعد طول عبودية هو أعظم إنتصار .. ولكن هنا يكمن خطر عظيم أمام هؤلاء ، إذ أنهم يعتبرون أن كل العناصر الرديئة قد تم الآن إستئصالها من داخلهم .. فإنهم لا يعلمون أنه حتى إذا كان **الإنسان العتيق** قد صُلب ، **وجسد الخطية** قد أُبطل ، إلا أن **الخطية** لم تمت .. فهى قد تم فقط خلعها عن العرش ، ولكنها لو وجدت فرصة فإنها سوف تبذل كل جهدها لاستعادة هذا العرش .. لذلك فإن اختبار التحرر من الخطية ليس هو نهاية المطاف ، إذ يتبقى أمام المؤمن بعد ذلك شوطاً كبيراً فى التعامل مع «ذاته» بمنتهى الحزم .

كم هو مؤسف أن يظن المؤمنون أنهم بحصولهم على اختبار التحرر من سلطة الخطية ، يكونوا قد تقدسوا تماماً .. وفى الواقع فإن هذا الاختبار ليس إلا أول خطوة فى حياة النصرة .. إنه انتصار مبدئى يعطيه الله للإنسان كعربون للانتصارات العديدة التى لا بد أن تتلوه .. **فالنصرة على الخطية هى باب ، نستطيع**

فى خطوة واحدة أن نعبره .. **أما النصرة على الذات فهى طريق** نحتاج إلى عمر بأكمله لكى نسيره .. **فبعد التغلب على الخطية يصبح أمامنا أن نتغلب يومياً على الذات حتى وإن كانت فى أفضل صورها** سواء من جهة النشاط أو التدين .

فالمؤمن الذى يختبر فقط التحرر من الخطية ولا يختبر انكار الذات أو إماتة حياة الذات ، لا بد وأن يلجأ إلى قوته الطبيعية النفسانية لإتمام مشيئة الله فى حياته .. فهو لا يعرف أنه بعد استبعاد الخطية تتبقى هناك قوتان أخريان بداخله : **قوة الروح ، وقوة النفس** .. **قوة الروح** هى قوة الله التى يحصل عليها المؤمن فى روحه بالولادة الجديدة ، أما **قوة النفس** فهى قوته هو الذاتية التى أخذها بالولادة الطبيعية .

إن الطريقة التى بها يتعامل الإنسان مع هاتين القوتين هى التى تحدد ما إذا كان إنساناً روحياً أم لا .. **فالمؤمن الروحى هو المؤمن الذى يعتمد اعتماداً كلياً على قوة الروح وينكر تماماً قوة النفس .. أما المؤمن الذى يستخدم قوة النفس أو حتى مزيجاً من القوتين ، فإنه لا بد وأن يكون مؤمناً جسدياً أو نفسانياً ..** فإن أسلوب الله واضح .. إنه يريدنا أن ننكر تماماً كل ما ينبع من ذواتنا كل صفاتنا ، كل إمكانياتنا ، كل مواهبنا ، كل طاقاتنا — وهكذا نسير به هو وحده فقط ، فنحيا يومياً حياة المسيح بواسطة الروح القدس .. فالمؤمن الروحى هو الشخص الذى تنقاد روحه

بروح الله ، ويستمد القوة اللازمة له فى سلوكه اليومى من قوة حياة الروح القدس الساكن فيه .. فهو لا يحيا من أجل إرادته الشخصية سواء فى التخطيط أو فى إتمام خدمة الله .. ولكن مبدأه فى الحياة هو السلوك الهادىء فى الروح بالإنفصال عن جميع تأثيرات الإنسان الخارجى وأحكامه .

أما المؤمن النفسانى فهو يختلف كل الإختلاف .. فعلى الرغم من أنه يمتلك قوة روحية ، إلا أنه لا يعتمد عليها فى حياته ، ولكنه يظل يستند على قوة النفس أو حياة الذات فى سلوكه اليومى .. فهو يطيع رغباته ويذهب وراء مسرَّاته لأنه لم يتعلم بعد كيف يطيع الله .. وحتى فى مجال الخدمة ، فإنه يلجأ إلى حكمته الطبيعية لوضع الترتيبات المناسبة .. وهكذا يكون إنسانه الخارجى هو المتحكم فى جميع أنشطته .

وتلخيصاً لما سبق نقول أن صلب الإنسان العتيق يحسم مشكلة **الطبيعة الخاطئة** ولكنه لا يحسم مشكلة **حياة الذات** .. وهكذا تظل بداخلنا كل من حياة النفس وحياة الروح جنباً إلى جنب .. وعلى الرغم من أن حياة الروح هى فى منتهى القوة ، إلا أن حياة النفس **تقدر** على التحكم فى الكيان كله لأن جذورها متأصلة تأصلاً عميقاً فى الإنسان .. لذلك فإن لم يكن الإنسان مستعداً أن ينكر حياة النفس وأن يعطى الزمام لحياة الروح ، فإن حياة الروح لن تجد فرصة للنمو .. وكم هو محزن لقلب الآب أن

يرى أولاده المؤمنين يحرمون أنفسهم من النمو الروحى .. **لذلك يجب علينا أن نفهم أن النصرة على الخطية مع أنها بركة عظيمة فى حد ذاتها ، إلا أنها تُعتبر الحد الأدنى للإختبار المسيحى ..** .. ألا يقول الكتاب المقدس : « نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها » (رو ٦ : ٢) .. فإنه من البديهى أن من يموت عن الخطية يكف عن عمل الخطية ، هذا أمر لا يدعو إلى الدهشة ، ولكن ما يدعو إلى الدهشة حقاً هو أن يظل يعمل الخطية وكأنه لم يمت عنها .

فالتحرر من الخطية ليس أمراً صعباً إذا نظرنا إليه فى ضوء الخلاص الكامل الذى صنعه المسيح .. ولكن الدرس الأصعب الذى يجب علينا أن نتعلمه بعد ذلك هو **رفض الذات** .. ليس فقط أن نرفض الطبيعة الخاطئة التى ورثناها من آدم ، بل أن نرفض أيضاً القوة الطبيعية التى نعتمد عليها الآن فى حياتنا .. يجب علينا أن نرفض الخير الذى يقدمه الجسد تماماً مثلما نرفض الشر الذى يعمله هذا الجسد .. لا نرفض الخطايا فقط ، ولكن نرفض هذا النظام بأكمله ونسلمه للموت .. فالسلوك بالروح لا يتضمن فقط الابتعاد عن الخطية ، ولكنه يشمل أيضاً التخلى عن الذات .. **فإن الروح القدس لن يقدر أن يُظهر قوته إلا فى الأشخاص الذين يحيون به** .. أما الذين يحيون بقوتهم الطبيعية فإنهم لن يستطيعوا أن يشهدوا عن أعمال الروح القدس العظيمة

فنحن نحتاج أن نتحرر ليس فقط من كل ما هو خاطىء ولكن أيضاً من كل ما هو بشرى .. يجب علينا أن نرفض كل ما هو من الإنسان ، ليس فقط الأشياء الخاطئة ولكن كل ما يمتّ بصلة إلى الإنسان ، وإلا فإننا نكون رافضين لسيادة الروح القدس على حياتنا .. لأنه كيف يستطيع الروح القدس أن يسود علينا ويُظهر قوته فينا إذا كنا لا نزال نفكر كما يفكر « الناس » ، ونرغب ما يرغبه « الناس » ، ونعيش ونعمل مثل باقى « الناس » ، ولا نعتمد اعتماداً كاملاً على روح الله لكى يعمل فينا ..؟ فإذا كنا نريد حقاً أن نختبر ملء الروح القدس ، يجب علينا أولاً أن نحطم كل تأثيرات النفس .

الخلط بين النفس والروح

نحن لا نريد أن نقول أن المؤمنين النفسانيين تكون جميع اختباراتهم نفسانية بحتة .. كلا ، فإنهم فى بعض الأحيان يحصلون على اختبارات روحية ، ولكنها تكون دائماً ممتزجة بأشياء من النفس .. فإن هؤلاء المؤمنين تكون عندهم دراية بمبادىء السلوك الروحى ، لأن الروح القدس يكون قد علَّمها لهم .. ولكنهم بسبب كثرة العوائق فإنهم يلجأون فى كثير من الأحيان إلى قوتهم الطبيعية لكى يعيشوا بها ، وهكذا فإنهم يحاولون أن يتمموا بالجسد مطالب الله المقدسة .. **فمع أنهم يكونون روحيين من حيث المعرفة ، لكنهم يكونون نفسانيين من حيث السلوك** .. فإنهم يسلكون بموجب رغباتهم وأفكارهم ويسعون وراء البهجة الحسية والحكمة العقلية .. فالروح القدس يسكن فعلاً فى أرواحهم ويعطيهم القدرة أن ينتصروا على الخطية بناء على عمل الصليب ، ولكنهم لا يعطونه الحرية الكافية لكى يقود حياتهم .. وذلك لأن بعضهم يجهل قوانين الروح القدس وأساليبه ، وبعضهم الآخر يحب حياته الذاتية بدرجة كبيرة وليس عنده استعداد أن يتخلى عنها .

وليس هناك صعوبة فى التمييز بين الروح والنفس من الناحية الاختبارية .. **فحياة الروح** هى ببساطة تلك الحياة التى تسير

بموجب الحس الروحى .. والمؤمن الذى يسلك بروح الله هو المؤمن الذى لا يخطط أو ينظم شيئاً بنفسه ، ولكنه ينتظر فى هدوء وخضوع إلى أن يُعلن له الروح القدس إرادته فى روحه ، وعندئذ ينهض للعمل ليس بالاعتماد على نفسه ، ولا باستخدام براعته ولكن بالإستناد على وعد الله .. فهو يتقدم إلى الله ، مُقرًّا بأنه فى منتهى الضعف ، ومتوسلاً إليه أن يعطيه وعداً بالقوة .. ومتى حصل على الوعد ، يبدأ فوراً فى العمل ، حاسباً أن قوة الروح القدس هى له ، وعندئذ فإن الله لا بد أن يمنحه القوة بحسب وعده .

أما **حياة النفس** فهى عكس ذلك تماماً .. فإن الذات تكون هى محورها .. وهكذا فإن المؤمن النفسانى هو المؤمن الذى يسلك بحسب الذات .. كل شىء ينبع من ذاته .. فهو لا يكون محكوماً بإرشاد الروح القدس له فى إنسانه الداخلى ، ولكن يكون محكوماً بالأفكار والقرارات والرغبات النابعة من إنسانه الخارجى .. فحتى إحساسه بالفرح يكون بسبب أن رغباته الشخصية قد تحققت .. وكما سبق أن ذكرنا فإن الجسد هو الغلاف الخارجى للنفس ، والنفس هى الغلاف الذى يغلف الروح .. فكما أن القدس فى الهيكل قديماً كان يقع خارج قدس الأقداس ، كذلك فإن النفس تقع خارج الروح مباشرة .. وبسبب هذا القرب الوثيق بينهما فإنه يكون من السهل جداً أن تؤثر النفس على الروح ..

فعلى الرغم من أن النفس تكون قد تحررت من سلطان الجسد ولم تعد تطيع شهواته ، إلا أن الروح لا تكون قد تحررت بعد من سيطرة النفس .. هذا هو الوضع فى المؤمن النفسانى .. فقبل أن يتغلب المؤمن على شهواته الجسدية ، تكون النفس فى تضامن مع الجسد وينتج عن هذا التضامن ما يُسمى بالطبيعة العتيقة أو الطبيعة الجسدية .. ولكن بعد ذلك يتحول هذا التضامن ، فيصبح بين النفس والروح ، بحيث تساهم الروح بتقديم القوة وتساهم النفس بتقديم الأفكار .. وهكذا تصبح الروح واقعة باستمرار تحت تأثير النفس .

ونتيجة لهذا الغلاف النفسى الذى يحيط بالروح من كل جانب يصبح من السهل على النفس أن تثير الروح .. فعلى سبيل المثال نحن نعرف أن المؤمن المولود ولادة ثانية يمتلك فى روحه سلاماً فائقاً .. ولكن للأسف فإن هذا السلام كثيراً ما تزعجه شهوات النفس ورغباتها المتعددة .. ومن ناحية أخرى فإن النفس فى أحيان كثيرة إذا غمرها الفرح تفيض بهذا الفرح على الروح ، فيظن المؤمن أنه أسعد إنسان فى العالم .. وعلى العكس فإذا شملها الحزن فإن هذا الحزن يتسلل أيضاً إلى الروح ويجعل الإنسان يشعر أنه أتعس إنسان فى الوجود .. هذه الاختبارات كثيراً ما تحدث من المؤمنين النفسانيين ، وتفسيرها الوحيد هو أن الروح والنفس ما زالا مندمجين لم يتم الفصل بينهما .

وعندما يسمع هؤلاء المؤمنين أنه يجب الفصل بين الروح والنفس ، فإنهم يجدون صعوبة كبيرة فى تحديد مكان الروح .. وقد يبحثون بكل اجتهاد ، ولكنهم لا يستطيعون أن يميزوا وجود الروح ولا يستطيعون أن يفّرقوا بين الروح والنفس .. فالاثنين مرتبطين ببعضهما إرتباطاً وثيقاً لدرجة أنهم يعتبرون الاختبارات النفسية (مثل الفرح ، والرؤى ، والحب ... وغيرهما) هى إختبارات روحية .

وقبل أن يصل المؤمن إلى الروحانية ، فإنه لا بد أن يعيش هذه الحياة المختلطة .. فلا يكتفى بأن يكون له سلام فى روحه ولكنه يريد أن يكون له أيضاً فرح فى مشاعره .. وفى سلوكه اليومى ، يطيع أحياناً إرشاد الروح ، وأحياناً أخرى يطيع أفكاره وأحاسيسه ورغباته .. فهذا السلوك المختلط يدل على وجود نبعين متناقضين داخل هذا المؤمن : أحدهما من الله والآخر من الإنسان .. الواحد من الروح القدس ، والآخر من الذات .. الواحد فوق طبيعى ، والآخر طبيعى .. الواحد ينتمى إلى الروح والآخر ينتمى إلى النفس .. فإذا فحص هذا المؤمن نفسه جيداً فى نور الإعلان الإلهى ، فإنه لا بد أن يكتشف وجود هاتين القوتين بداخله ، ولا بد أن يعترف أنه يعيش أحياناً بقوة الروح وأحياناً أخرى بقوة النفس .. فهو يعرف أنه ينبغى أن يسلك بالإيمان وأن يضع ثقته فى الروح القدس ، ولكنه فى نفس الوقت يسلك فعلياً وراء ذاته

مستنداً على ما يسميه هو بالمشاعر الروحية .. وهكذا فإنه يعيش فى نطاق الذات أكثر مما يعيش فى نطاق الروح .. ويختلف هؤلاء المؤمنين النفسانيين فى درجة النفسانية إذ أن ذلك يعتمد على مدى فهمهم لحياة الروح ولطريقة تعاونها مع الله ، ويعتمد أيضاً على مدى خضوعهم الفعلى لحياة الذات .. ولذلك فإن بعضهم يعيش حياة حسية خيالية بحتة والبعض الآخر يعيش متأرجحاً بين النفس والروح .. فإذا لم يتدخل الله لكى يعلّمنا فى أرواحنا بواسطة الروح القدس كيف نرفض **حياة الذات** ونتمسك **بحياة الروح** ، فإننا لن نستطيع أن نفعل ذلك بمفردنا .. وعلى حسب نوع الحياة التى نختارها سوف يتحدد نوع الطريق الذى نسلكه .



٢ _ حياة المؤمنين النفسانيين

وصاف المؤمنين النفسانيين

ليس هاك شك فى أن النفس تختلف من شخص إلى آخر ، وأنها لا يمكن أن تكون نسخة متكررة فى جميع البشر .. فكل واحد مناله شخصيته المميزة ، وهذا التمييز لا يتلاشى بالولادة الثانية ، ولكنه يستمر مع الإنسان إلى الأبد ، وإلا فإن الحياة فى الأبدية كانت ستصبح عديمة اللون ..! ونظراً لوجود هذه الاختلافات بن نفوس البشر ، فقد نتج عن ذلك أن حياة المؤمنين النفسنيين أصبحت هى أيضاً تختلف من شخص إلى آخر .. ولذلك فإننا لن نستطيع هنا إلا أن نتكلم بطريقة عامة عن أهم الصفات التى تميز المؤمنين النفسانيين ، لعلنا نستطيع أن نقيس عليها احتباراتنا .

يتميز المؤمنون النفسانيون بأنهم **فضوليون** بشكل غير عادى .. فإنهم على سبيل المثال يدرسون نبوات الكتاب المقدس بكل عناية ، لمجرد إشباع فضولهم من جهة معرفة المستقبل .

ويميل المؤمنون النفسانيون أن **يتباهوا بأنهم متميزين عن غيرهم** سواء فى الملبس أو الكلام أو الأعمال .. وهم **يحبون أن تكون جميع إنجازاتهم واضحة أمام الناس** .. ولا بد أن هذا الميل كان موجوداً عندهم قبل التجديد ، ولكنهم حتى بعد تجديدهم فإنهم يجدون صعوبة كبيرة فى التغلب على هذا الشغف الطبيعى .

وبعكس المؤمنين الروحيين ، فإن المؤمنين النفسانيين **يحاولون دائماً أن يفهموا تفسير كل شيء بعقولهم** .. فإنهم لا يكفّوا عن الجدال والمناقشة .. وهم لا يهتمون إذا كان اختبارهم الروحى لا يتناسب مع معرفتهم العقلية ، ولكن ما يزعجهم حقاً هو أن يفشلوا فى **فهم** اختبار روحى معين .. وهكذا فإنهم يقعون فى خدعة كبيرة إذ يعتبرون أن **الفهم العقلى** يُغنى عن **الاختبار الفعلى** .

ومعظم المؤمنين النفسانيين يتميزون **بالبر الذاتى** ، مع أن حياتهم تكون فى الواقع مشوبة بكثير من النقائص .. ويتميزون أيضاً **بالتمسك بآرائهم تمسكاً شديداً** .. ونحن لا ننكر أن التمسك بتعاليم الكتاب الرئيسية هو شيء حسن ، أما التشدد بخصوص النقاط الفرعية فهو شيء غير مقبول بالمرة .. فإن الله لا يُسرّ أبداً بأن يرانا نُصفّى عن البعوضة وفى نفس الوقت نبلع الجمل .. فليتنا نتعلم كيف نتغاضى عن الاختلافات البسيطة ، ونسعى معاً نحو الهدف المشترك .

وفى أحيان كثيرة تتعرض أذهان المؤمنين النفسانيين لهجمات الشيطان ، فتصبح **أفكارهم مشوشة ومضطربة** وأحياناً ملوثة .. وفى أحاديثهم تكون أفكارهم مبعثرة ، فينتقلون بسرعة من موضوع إلى آخر ، وإذا سُئلوا عن شيء يجاوبون عن شيء آخر .. وحتى أثناء الصلاة أو قراءة الكتاب المقدس ، فإن

أفكارهم تتشتت بعيداً .. ومع أنهم يتصرفون دائماً بدون سابق تفكير ، إلا أنهم يقولون عكس ذلك للآخرين ، فيؤكدون أن كل تصرفاتهم مبنية على أسس دقيقة ويستشهدون بأحداث معينة حدثت معهم لإثبات صدق ما يقولون .

والمؤمنون النفسانيون تكون **مشاعرهم سهلة التحرك** .. فأحياناً يكونوا فى منتهى السعادة والبهجة ، وأحياناً أخرى يكونوا فى منتهى الحزن والكآبة .. وفى لحظات الفرح يشعرون أن العالم أصغر من أن يسع فرحهم ، وأنهم قد أصبحوا يحلقون فى السماء .. أما فى لحظات الحزن فإنهم يشعرون أنهم لم يعد لهم مكان فى العالم ، وأنهم من الأفضل أن يفارقوه .. أحياناً تكون قلوبهم ملتهبة بداخلهم وكأنهم قد وقعوا على كنز ، وأحياناً أخرى تكون قلوبهم مكتئبة فتجعلهم يشعرون بالضياع واليأس .. إن فرحهم وحزنهم يتوقف أساساً على مشاعرهم ، ولذلك فإن حياتهم تكون دائماً فى تغير مستمر لأنها مؤسسة على المشاعر .

ومن الصفات المميزة للمؤمنين النفسانيين **الحساسية الزائدة** .. فإنه يكون من الصعب جداً التعامل معهم لأنهم يفسرون كل حركة على أنها موجهة ضدهم .. إذا أهملهم الآخرون فإنهم يغضبون .. وإذا أحسّوا بتغير فى المعاملة ، فإنهم يُجرحون .. وهم أحياناً يتعلقون تعلقاً شديداً بشخص ما بحيث لا يحتملون فراقه ، وإذا طرأ أى تغير طفيف على هذه العلاقة فإن نفوسهم

تتألم ألماً شديداً .. والشيء المؤسف حقاً هو أنهم يظنون أن **آلامهم هذه هى من أجل الرب ..!**

وفى الواقع فإن هؤلاء المؤمنين النفسانيين يكونون فى منتهى الضعف ، إذ أنهم يجعلون من ذواتهم محوراً يدورون حوله ، وينبهرون بأقل تقدم روحى يحققونه .. ولعلاج هذا الضعف فإن الله يمنحهم أحياناً **مواهب خاصة واختبارات غير عادية** ، ويعطيهم أن يشعروا بقربه الشديد منهم وأنهم يكادوا أن يلمسوه .. وهو يستخدم هذا الأسلوب أساساً لكى يوصلهم إلى التواضع وإلى التمسك به هو وحده كإله كل نعمة .. ولكن للأسف فإن هؤلاء المؤمنين غالباً ما يفشلون فى الوصول إلى هذا الهدف ، فبدلاً من أن تقودهم تلك المعاملات إلى تمجيد الله والالتصاق به فإنهم يتخذون منها مجالاً للافتخار .. وهكذا فإنهم يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين وأكثر روحانية منهم بدليل أنهم قد اختبروا مثل هذه الاختبارات الغير عادية .. وهم لا يعلمون أن **اختباراتهم الحسية** إن دلت على شيء فهى تدل على أنهم جسديين ، لأن الشخص الروحى لا يحيا بالمشاعر بل بالإيمان .

ومن صفات المؤمن النفسانى أنه **ينزعج بسهولة بالظروف المحيطة** سواء كانت أشخاص أو أشياء أو أحوال .. فإن هذه كلها تستطيع بكل سهولة أن تتسلل إلى إنسانه الداخلى وتنتزع سلامه الروحى .. فإذا تواجد فى ظروف مبهجة يكون مبتهجاً ،

وإذا تواجد فى ظروف محزنة يصبح حزيناً .. فهو لا يمتلك أى قدرات خلَّاقة ، ولكنه يتشكل بحسب الظروف أو الأشخاص الذين يتعامل معهم .

والمؤمنون النفسانيون **يكون نموهم متوقفاً على المشاعر** .. فإذا أعطاهم الرب أن يشعروا بحضوره ، يفرحون بهذا الإحساس فرحاً شديداً ، ويتخيلون أنهم قد حققوا تقدماً كبيراً فى طريق النضج الروحى .. ولذلك فإن الله يمنحهم هذه الإحساسات ويسحبها منهم عدة مرات حتى يفطمهم تدريجياً عن المشاعر وحتى يعلّمهم أن يعيشوا بالإيمان .. ولكنهم لا يفهمون ذلك بل **يتخيلون أنهم أثناء وجود المشاعر تكون حالتهم الروحية أفضل ما يمكن ، وأثناء غيابها تكون حالتهم الروحية أضعف ما يمكن.**

ويشترك المؤمنون النفسانيون جميعاً فى صفة واحدة وهى **كثرة الكلام** .. فمع أنهم يعرفون أنه يجب على الإنسان أن تكون كلماته قليلة ، إلا أنهم بسبب مشاعرهم الهائجة ، فإنهم كثيراً ما يثيرون مناقشات لا تنتهى .. وهم لا يستطيعون أن يتحكموا فى أحاديثهم ، فبمجرد أن يفتحوا أفواههم ، تفقد أذهانهم السيطرة على الكلام ، وهكذا تتدفق كلماتهم مثل نهر فائض .. وحتى إذا أدركوا أنهم يجب أن ينهوا الحديث فإنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك ، بل يظلوا ينتقلون من موضوع إلى آخر ، وبالطبع فإن « كثرة الكلام لا تخلو من معصية » (أم ١٠:١٩) .. فتكون

النتيجة أنهم إما يفقدون تحكمهم فى أنفسهم وإما يفقدون سلامهم ، وإما يفقدون محبتهم للآخرين .. إنهم يعرفون جيداً أنه لا يليق بالمؤمن أن يكون مفرطاً فى الكلام ، ولكنهم لا يستطيعون أن يستغنوا عن الأحاديث الصاخبة ، مهما كلفهم الأمر .. ومع أنهم يحاولون فى بعض الأحيان أن يبتعدوا عن هذه العادة الذميمة إلا أنهم سرعان ما يعودوا إليها بدافع من مشاعرهم الفائرة .

وكثيراً ما ينجرف المؤمنون النفسانيون نحو « **شهوة العيون** » .. فإنهم ينساقون وراء المقاييس الفنية أو الجمالية التي ينساق وراءها العالم والتى تتغير مع تغير العصر .. وذلك لأنهم لم يموتوا بعد عن النظرة البشرية للنواحى الجمالية ، بل على العكس فإنهم يفتخرون بإمتلاك هذا التذوق الفنى .. وهناك من يتطرفون فى الاتجاه العكسى ، فلا يُبدون أى اكتراث بالنواحى الجمالية ، بل إنهم قد يبالغون فى إهمال مظهرهم وملبسهم لكى يظهروا للآخرين أنهم يتألمون مع الرب ..!

وإذا كان من بين المؤمنين النفسانيين من يميل إلى التأمل فإنه يتخيل أنه واحد من الشعراء .. فتراه مثلاً فى الليالى المقمرة أو الأيام العاصفة ساكباً مشاعره فى شكل أبيات مؤثرة .. وهؤلاء كثيراً ما يندبون حظهم فى الحياة ، ويذرفون الدمع الغزير اشفاقاً على أنفسهم .. وهم أيضاً يحبون قراءة الأدب ويُعجبون بما فيه من صور بلاغية ، ويحبون الذهاب إلى الجبال والأنهار والبحيرات ،

لأن هذه الأماكن تجعلهم يشعرون بالقرب من الطبيعة .. وهم يرسمون لأنفسهم مساراً مستقلاً ، يتميز بالسمو والنقاء ، ليس مثل باقى المؤمنين الغارقين فى الماديات والأرضيات .. كلا ، فإنهم يختلفون عنهم تماماً فى مستوى الروحانية ..! وفى الواقع فإن هؤلاء يكونون مُستعبدين تماماً لمشاعرهم فلا يستطيعون أن يحققوا أى تقدم روحى .. ومما يزيد من خطورة حالتهم هو أنهم يكونون راضين تماماً على أنفسهم ومقتنعين بأن كل شيء على ما يرام .

والمؤمنون النفسانيون لا تنقصهم « المعرفة الروحية » ولكن ما ينقصهم هو « الاختبار الروحى » .. ولذلك فإنهم يكونون **بارعين فى إدانة الآخرين ، وفاشلين فى إدانة أنفسهم** .. فإذا سمعوا مثلاً عن ضرورة الفصل بين النفس والروح ، فإن أذهانهم لا تجد صعوبة فى استيعاب الكلام .. ولكن الذى يحدث بعد ذلك هو أنهم يبدأون فى فحص تصرفات الآخرين لاكتشاف ما هو نفسانى منها ، بدلاً من أن يفحصوا أنفسهم .. فحصولهم على المعرفة لا يقودهم إلى تصحيح أنفسهم بل إلى إدانة الآخرين .. هذه الرغبة فى الانتقاد شائعة جداً بين المؤمنين النفسانيين .. **فإن طاقاتهم النفسية تساعدهم على التعلم ، ولكنهم يفتقرون إلى الطاقة الروحية التى تساعد على التواضع**... وفى تعاملهم مع الآخرين ، يميل أسلوبهم دائماً إلى البرود والجمود والصلابة بحيث يصعب التعامل معهم ، وذلك لأن إنسانهم الخارجى لم ينكسر بعد .

وهناك صفة أخرى تميز المؤمنين النفسانيين ، وهى **حب الافتخار** .. وسبب هذا الافتخار هو أنهم يجعلون من ذواتهم محوراً يدورون حوله .. وحتى فى تمجيدهم لله وفى اعترافهم بإحساناته ، فإن أفكارهم تكون مثبَّتة على الذات .. وسواء أحسوا بردائتهم أو بصلاحهم ، فإنهم لا يبتعدون عن الذات .. إنهم لم يتخلصوا بعد من ذواتهم .. وإذا تجاهلهم الآخرون ولم يأخذوا برأيهم ، فإن مشاعرهم تتألم بشدة .. وإذا أساء أحد فهمهم أو وجَّه إليهم لوماً فإنهم لا يستطيعون أن يحتملوا ، وذلك لأنهم لم يتعلموا بعد كيف يقبلون كل شيء من يد الله ، سواء كان لارتفاعهم أو لإذلالهم .. إنهم لا يحتملون الاحتقار ولا يرضون بالمكان الأخير .. وحتى إذا أعطاهم الله نعمة لكى يعرفوا حقيقة أنفسهم ، وقادهم بهذه الطريقة إلى التواضع وإلى الاعتراف بردائتهم فإنهم سوف يفتخرون بتواضعهم ، وبأنهم أكثر اتضاعاً من الآخرين ..! نعم ، فإن الافتخار هو داء دفين فى أعماقهم .

موقف المؤمنين النفسانيين من الخدمة

إن المؤمنين النفسانيين لا يباريهم أحد فى مجال الخدمة .. **فإنهم يتميزون بالنشاط والحماس والإقدام على العمل** .. إلا أنهم يعملون ليس بدافع من الله ولكن بدافع من حماسهم وقدراتهم .. وهم يعتقدون أنهم طالما يخدمون الرب فهذا شيء حسن ، **ولا يعلمون أن من يخدم الرب يجب أن يخدمه بحسب فكره هو** .. فإنهم لا يعرفون الثقة ولا يحبون الانتظار ، ولذلك فإنهم لا يبحثون بجدية عن مشيئة الله ، بل يعملون بحسب أفكارهم وآرائهم التى لا تنضب أبداً .. ونظراً لنشاطهم المستمر فإنهم لا يشكُّون لحظة فى أنهم أكثر تقدماً من إخوتهم الذين لا يخدمون ، مع أن الله فى نعمته كثيراً ما يثبت لهم العكس .

ويعتمد نشاط هؤلاء المؤمنين أساساً على المشاعر .. فيعملون إذا أحسوا بالرغبة فى العمل ، ويكفّون إذا توقفت هذه الرغبة .. وهم يستطيعون أن يتكلموا عدة ساعات بدون أن يشعروا بالتعب طالما أن قلوبهم تشتعل حماساً فى داخلهم ، أما إذا فقدوا هذا الإحساس الملتهب فإنهم يفقدون القدرة على الكلام فى أحرج المواقف ، حتى ولو كانوا أمام شخص يحتضر .. يركضون ألف ميل إذا كانت مشاعرهم مواتية ، ولا يتحركون خطوة واحدة إذا لم تكن كذلك .. **فإن مشاعرهم هى التى تحركهم** ولذلك

فإنهم لن يستطيعوا أن يكلموا امرأة سامرية إذا كانوا يشعرون بالجوع ، ولا أن يتحدثوا مع نيقوديموس إذا كانوا يشعرون بالنعاس.

والمؤمن النفسانى لا يطيق الابتعاد عن الخدمة ، فهو يريد أن يعمل باستمرار .. ولكن على الرغم من ذلك فإنه لا يستطيع أن يعمل إرادة الله فى هدوء كما يفعل المؤمنون الروحيون ، ولكنه يكون مرتبكاً على الدوام .. ومع كثرة الارتباك يتسرب الهدوء الداخلى .. **فالارتباك فى الخدمة الكثيرة** (لو ١٠ : ٤٠) هو أحد مميزات المؤمن النفسانى .

والمؤمنون النفسانيون **يصيبهم اليأس بسهولة أثناء الخدمة** .. فإنهم يفتقرون إلى تلك الثقة الهادئة التى تعرف كيف تأتمن الله على عمله .. إذ أنهم لا يعتمدون فى الخدمة على الإيمان بل على المشاعر والظروف .. لذلك فإنهم إذا أحسُّوا بالفشل ، مع أن ذلك قد يكون غير صحيح ، فإنهم يتوقفون عن العمل .. وإذا بدت الظروف غير مشجِّعة ، فإنهم لا يجرؤون على الاستمرار ، وذلك لأنهم لم يدخلوا بعد إلى راحة الله .

والمؤمن النفسانى لا يكون عنده بُعد نظر ، فهو لا يرى إلا تحت رجليه ، ولذلك فإنه يكون من السهل أن تثبط عزيمته .. إذ أنه يفرح لأدنى نجاح ، ويحزن لأقل فشل .. **فإنه لا يمتلك عين الإيمان المدربة التى تستطيع أن ترى الشىء حتى نهايته** ، ولكنه يريد أن يحقق نجاحاً سريعاً لكى يطيب قلبه .. وإذا فشل فى

تحقيق هذا النجاح فإنه لا يستطيع أن يستمر وسط الظروف الحالكة بالاعتماد على الله وحده .

والمؤمنون النفسانيون بارعون جداً فى **اكتشاف الأخطاء ، مع أنهم هم أنفسهم** ليسوا كاملين .. فإنهم سريعى الانتقاد وبطيئى الصفح .. وإذا حاولوا معالجة أخطاء الآخرين ، فإنهم يفعلون ذلك بأسلوب لا يخلو من التعالى .. **فحتى لو كانت مقاييسهم فى التصحيح سليمة ، إلا أن دوافعهم لا تكون سليمة .**

ويميل المؤمنون النفسانيون دائماً إلى **التسرع** .. فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا الله ، بل يعملون كل شىء بتسرع واندفاع .. وبدلاً من أن يتحركوا بناء على قواعد ثابتة ، فإنهم يتحركون بدافع من نشاطهم وعواطفهم ولا يصبرون إلى أن يُعلن الله إرادته لهم بوضوح .

والمؤمن النفسانى يكون ذهنه دائماً مشغولاً بالخدمة ، فهو لا يكف عن التفكير والتخطيط والتوقع والاستنتاج .. فإذا بدا أمامه المستقبل مشرقاً ، يغتبط فرحاً ويهنىء نفسه ، أما إذا لاحت الغيوم فى الأفق ، فإنه يمتلىء حزناً .. **فهو لا يفكر فى رب الخدمة بقدر ما يفكر فى الخدمة نفسها** .

والمؤمنون النفسانيون يفتقرون إلى التمييز الروحى الناضج ..

ولذلك فإن **كلماتهم وأفعالهم تكون دائماً فى غير موضعها** .. فإنهم يتكلمون ليس لأن هناك ضرورة للكلام ولكن لأنهم يفترضون وجود هذه الضرورة .. وهم فى أحيان كثيرة يوبخون حيث يلزم التشجيع ، ويشجعون حيث يلزم التوبيخ .. وحتى بعد أن يثبت أن كلماتهم عديمة القيمة ، فإنهم يظلوا متمسكين بها .. كل هذا يحدث بسبب نقص التمييز الروحى والاستعاضة عنه بالفكر البشرى المحدود .

وليس هناك أصعب من أن يعمل الإنسان عملاً مشتركاً مع أحد المؤمنين النفسانيين .. فهو دائماً يكون لديه تلال من الأفكار وأطنان من المشاريع .. وكل ما يعتبره حسناً يجب على الآخرين أيضاً أن يعتبروه هكذا .. فإن الشرط الوحيد للتعامل معه هو أن توافقه فى جميع آرائه .. وهو يعتبر أن آراءه ينبغى أن يؤخذ بها بدون مناقشة وكأنها هى الإيمان المسلَّم مرة للقديسين ، وكل رأى آخر مخالف يدخل تحت بند الهرطقة .. وهو يعرف أن التمسك بالرأى صفة رديئة ، ولكنه متأكد أن ذلك لا ينطبق على آرائه هو ..! كما أنه يعترف أن التعصب غير كتابى ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون منطبقاً على طائفته هو ..! وهو يكون شديد التعلق بخدمته وبدائرته الضيقة ، وبالتالى فإنه يكون غير مستعد أن يتعاون مع جميع أولاد الله .

أما فيما يختص بالوعظ ، فإن المؤمنين النفسانيين لا

يستطيعون أن يقوموا به بالاستناد الكامل على الله .. ولكنهم إما أن يعتمدوا فيه على القصص الشيقة أو الكلمات البليغة أو على شخصياتهم هم إذا كانت جذابة .. وعلى الرغم من أن معظمهم يعتمدون على الله إلى جوار اعتمادهم على ذواتهم ، إلا أن بعضهم تصل به ثقته فى نفسه إلى درجة أنه يظن أن أى شىء يقوله لا بد وأن يجذب الناس لمجرد أنه هو الذى قاله .. وهم يصرفون أوقاتاً أطول فى تحضير العظات وفى تنسيق الكلام وفى جمع المعلومات ، وأوقاتاً أقل فى الصلاة وفى طلب فكر الرب وفى انتظار قوة الروح القدس .. فبدلاً من أن يضعوا ثقتهم فى روح الله لكى يكشف عن احتياج المستمعين ويقدم لهم الرسالة المناسبة ، فإنهم يضعون ثقتهم فى الكلمات التى يرتبونها بحيث تحرك قلوب الناس .. **وقد يحتوى كلامهم على حقائق سليمة ولكن بدون عمل الروح القدس فإن حتى الحق يكون عديم النفع** .. إن كل من يتكل على الكلمات أكثر مما يتكل على الروح القدس لا يمكن أن يأتى بثمار حقيقية ، لأنه مهما كانت كلماته منمقة فهى لن تستطيع أن تصل إلا إلى عقول الناس .

ويميل المؤمنون النفسانيون إلى استخدام الكلمات الرنانة والمعبرة .. وهم يحاولون فى ذلك أن يقلدوا الأشخاص الروحيين الحقيقيين الذين يكون لهم أسلوب مميز فى التعليم ناتج عن طول خبرتهم فى المجال الروحى .. فالمؤمن النفسانى ينبهر جداً بهذه

الطريقة ويودّ أن يستخدم مثلها .. ولذلك فإنه إذا جاءته أى فكرة ظريفة ـــ أثناء السير أو الحديث أو الأكل أو النوم ـــ فإنه يدونها فى الحال لكى يستخدمها فيما بعد فى عظاته .. وهو لا يحاول أبداً أن يتساءل ما إذا كانت هذه الفكرة قد أعلنها الروح القدس لروحه حقاً أم أنها قد نبعت من فكره .

ويجد المؤمنون النفسانيون سعادة خاصة فى تقديم العون الروحى للآخرين .. ولكن بسبب عدم النضج ، فإنهم لا يعرفون كيف يقدمون الطعام فى حينه .. وذلك لا يعنى أنهمْ ليست لديهم معرفة ، كلا فإنهم يمتلكون فائضاً منها .. ولكنهم بمجرد أن يسمعوا عن مشكلة ما ، فإنهم يتخذون فى الحال موقف المؤمن البالغ ، ويحاولون تقديم العون بما لديهم من بصيرة محدودة .. وهكذا فإنهم يصبون فى آذان مستمعيهم كميات هائلة من التعاليم الكتابية والاختبارات الروحية ، فيقولون كل ما يعرفون ، بل أحياناً أكثر مما يعرفون .. ويظلوا يستعرضون كل المعلومات المختزنة فى عقولهم بغض النظر عما إذا كان السامع محتاجاً إلى هذه التعاليم ، وما إذا كان قادراً على استيعابها كلها دفعة واحدة .. فيكونون مثل حزقيا الذى فتح كل مخازنه للزائرين وأراهم جميع كنوزه .. وأحياناً بدون أى دافع خارجى ، بل لمجرد رغبة داخلية ، فإنهم يمطرون الآخرين بوابل من التعاليم الروحية التى يكون معظمها مجرد أشياء نظرية .. إذ أن كل هدفهم هو **استعراض معلوماتهم** .

ولكن هذه الصفة لا تنطبق على جميع المؤمنين النفسانيين .. فهى تختلف بإختلاف الشخصيات .. فالبعض منهم يظل صامتاً لا ينطق بحرف واحد ، حتى فى وجود حاجة ماسة إلى الكلام ، وذلك لأنهم لم يتحرروا بعد من الخجل والخوف الطبيعيين .. وهؤلاء كثيراً ما ينتقدون فى قلوبهم المؤمنين الذين يتكلمون بكثرة ، مع أنهم هم أنفسهم ليسوا أكثر روحانية منهم .

ويشترك جميع المؤمنين النفسانيين فى صفة **حب الظهور** ، وذلك لأنهم لا يكونوا قد تأصلوا فى الله ، ولا تعلموا كيف يختفون فيه .. ولذلك فإنهم يحبون الأدوار البارزة فى الخدمة .. وهم فى الاجتماعات ، يفضلون الكلام أكثر من الاستماع .. وأقصى ما يثير غبطتهم هو أن يحصلوا على المدح والاستحسان .

ويحب المؤمنون النفسانيون أن يستخدموا الأساليب الروحية .. ولذلك فإنهم يحفظون عن ظهر قلب الكثير من العبارات الروحية ويستخدمونها كلما سنحت الفرصة .. فتجدهم يرددون هذه العبارات سواء فى الصلاة أو فى الوعظ ، ولكنها لا يكون لها أى عمق .

وهم أيضاً يحبون **الافتخار بخدمة الرب** ، ويشتهون دائماً المكان الأول .. إن أقصى ما يتمنوه هو أن يكونوا خداماً أقوياء وأن يستخدمهم الرب بكل قوة ، وكل هدفهم من وراء ذلك هو أن يحصلوا على الشهرة والفخر .. وهم يحبون أن يقارنوا أنفسهم

بالآخرين خصوصاً الذين يخدمون معهم .. فإذا كان أحد متأخراً روحياً فإنهم يحتقرونه ويتهمونه بالتقاعس ، أما إذا كان أحد متقدماً روحياً فإنهم يحطون من قدره أو يساوون أنفسهم به .. وهم يسعون دائماً نحو مراكز القيادة ، ويبتغون النجاح لكى يكونوا مثار حديث الناس .. وهذه الرغبة الدفينة لا تكون بالطبع واضحة أمام الآخرين ، ولكن بالرغم من ذلك وبالرغم من أنها قد تكون مختلطة ببعض الدوافع الأخرى الأكثر نقاء إلا أنه يكون من المستحيل تجاهل وجودها .

ويتصف المؤمنون النفسانيون أيضاً **بالغرور** .. فإذا استخدمهم الرب لخلاص نفس واحدة فإنهم يرقصون طرباً وابتهاجاً بهذا النجاح العظيم الذى حققوه .. وأى تقدم بسيط سواء فى المعرفة أو فى الاختبار أو فى الخدمة يجعلهم يشعرون أنهم قد حققوا الكثير .. هذه الصفة يمكن تشبيهها بالإناء الصغير الذى يكون من السهل له أن يمتلىء .. فإنهم لا يدركون مدى عمق واتساع محيط المياه المتبقى ، ولكنهم يشعرون بمنتهى الرضى والسعادة طالما أن دلوهم قد امتلأ .. إنهم لم يتعلموا بعد كيف يذوبوا فى الله وكيف يحسبوا أن كل هذه الأشياء هى لا شىء .. إن عيونهم متركزة فى أنفسهم المدللة ، ولذلك فإنهم يتأثرون بأقل مكسب وأقل خسارة .. ولهذا السبب فإن الله لا يستطيع أن يستخدمهم بصورة أوسع ، لأنه إذا كان ربح عشرة نفوس يعطيهم

كل هذا الافتخار ، فكيف يكون الحال لو أنهم ربحوا ألف نفس .. ؟

وإذا اختبر المؤمن النفسانى شيئاً من النجاح فى إحدى العظات فإنه يظل فترة طويلة يجتر على فكرة واحدة وهى : « أنه كان رائعاً حقاً ! » .. فإن هذه الفكرة تعطيه سعادة غامرة إذ تجعله يشعر أن مستواه يفوق الآخرين ، بل أنه يرقى إلى مستوى أعظم الرسل .. ! وإذا لم ينظر إليه الآخرين بنفس هذه النظرة ، فإنه يتألم ويتعجب كيف أنهم لا يدركون أن نبياً من الناصرة موجوداً فيما بينهم .. ! وهو يكون مقتنعاً أن عظاته تقدم أفكاراً لم يأتِ أحد بمثلها من قبل ، ولذلك فإنه يحزن لأن المستمعين لا يُقدِّرون عظمتها .. وبعد كل عظة يظل بضعة ساعات وأحياناً بضعة أيام يهنىء نفسه على نجاحه الباهر ، وقد يصل به الغرور إلى حد التخيل أن الكنيسة لا بد وأن ترى فيه قريباً كارزاً عظيماً أو قائد نهضات .

والمؤمن النفسانى تكون حياته بلا مبادىء .. **فإن كلماته وأفعاله لا تكون خاضعة لقواعد سلوكية ثابتة** ، ولكنها تسير وفقاً لأفكاره ومشاعره .. ويكون ذلك واضحاً بصفة خاصة بعد إلقاء العظات .. فإذا كان ـــ على سبيل المثال ـــ يعظ الناس عن الصبر ، فإنه يُظهر صبراً فائقاً لبضعة أيام تالية ، وإذا كان يكلمهم عن التسبيح فإنه يقضى عدة أيام مسبحاً الله .. ولكن

ذلك لا يمكن أن يدوم ، لأنه يتحرك بدافع من عواطفه ، وبمجرد أن تخمد العاطفة فإنه يعود كما كان .

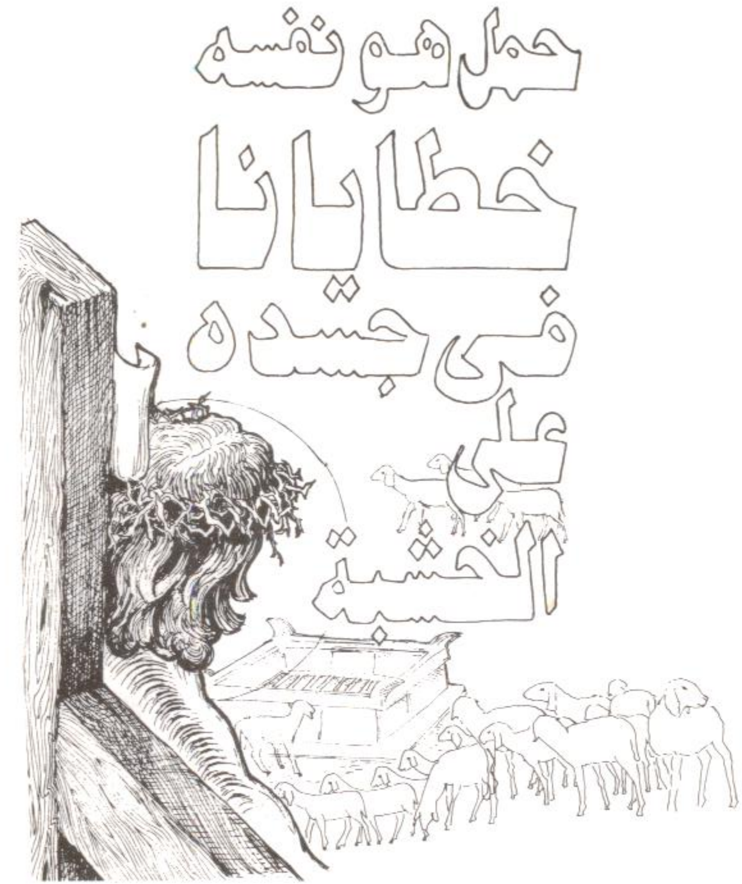
وهناك صفة أخرى تميز المؤمنين النفسانيين وهى أنهم **يكونون موهوبين بطريقة غير عادية** .. فالمؤمنين الذين لم يتحرروا بعد من سلطة الخطية لا يكونون مثلهم فى المواهب ، وكذلك أيضاً المؤمنين الروحيين .. ويبدو أن الله يمنح المؤمنين النفسانيين مواهب غزيرة لكى يسلِّموا هذه المواهب للموت بإرادتهم ، ثم بعد ذلك يستردونها جديدة بالقيامة .. ولكن هؤلاء المؤمنين لا تكون لديهم الرغبة فى تسليم مواهبهم للموت ، بل على العكس فإنهم يحاولون استخدامها إلى أقصى درجة .. إن عطايا الله يجب أن تُستخدم فقط لمجد الله ، وبالطريقة التى يراها الله ، ولكن للأسف فإن هؤلاء المؤمنين يعتبرون أن هذه المواهب ملك لهم ، ولذلك فإنهم يستخدمونها بحسب أفكارهم وليس بحسب إرشاد الروح القدس ، وتكون النتيجة فى النهاية أنهم يُرجعون المجد لأنفسهم وإن كان بصورة مقنَّعة .. ومهما حاولوا أن يتواضعوا وأن يعطوا المجد لله ، فإنهم لا يستطيعوا أن يتجاهلوا أنفسهم .. وكأن لسان حالهم هو : ليكن المجد لله ، ولنا نحن أيضاً .. !

ولأنهم يمتلكون أذهاناً متوقدة ومشاعر فياضة ، فإن المؤمنين النفسانيين يستطيعون بسهولة أن يجذبوا اهتمام الناس وأن يحركوا مشاعرهم .. **فهم قادرون على اكتساب شعبية الناس** ،

ولكنهم يفتقرون إلى قوة الروح القدس .. إنهم يمتلكون شيئاً ولكن هذا الشيء لا يستطيع أن يمنح حياة للآخرين .. إنهم يبدون فى منتهى القوة ، ولكنهم فى حقيقة الأمر فى منتهى الضعف .

هذه هى الصفات التى قد تظهر كلها أو بعضها فى المؤمنين النفسانيين .. ويؤكد لنا الكتاب المقدس ، كما يؤكد أيضاً الاختبار العملى أن هناك مؤمنين كثيرين يطيعون الروح والنفس فى آن واحد ، ويخلطون بين مشاعر النفس واختبارات الروح .. لذلك يجب علينا أن نعرف أن الاختبارات الروحية لا تجعل منا أناساً روحيين ، وأننا إذا لم نتحرر من **الخطية** ومن **الذات** أيضاً ، فإننا لن نقدر أن نكون روحيين .

٢ _ مخاطر الحياة النفسانية



مظاهر حياة النفس

تظهر حياة النفس (أو حياة الذات) فى شكل أربع مجموعات من المظاهر :

١ــ **قوة** ذاتية طبيعية .

٢ــ **إرادة** ذاتية صلبة وغير خاضعة لله .

٣ــ **حكمة** ذاتية قادرة على وضع الخطط واقتراح الآراء .

٤ــ البحث عن **العواطف** الحسية فى الاختبارات الروحية.

وسبب هذا التنوع فى المظاهر يرجع إلى تنوع وظائف النفس بين : عقل ، وإرادة ، وعاطفة .. ولنفس هذا السبب فإن اختبارات المؤمنين النفسانيين تتفاوت فيما بينهم تفاوتاً كبيراً .. فبعضهم يميل تجاه العقل ، والبعض الآخر يميل تجاه العاطفة أو الإرادة .. إلا أنهم جميعاً يشتركون فى أن الحياة التى يحيونها هى حياة نفسانية .. ويكون كل فريق منهم قادراً على تمييز عدم روحانية الفريق الآخر ، مع أنهم جميعاً لا يفرقون عن بعضهم من حيث عدم الروحانية .. لذلك فإن أشد ما يحتاج إليه المؤمنون هو أن يكشف لهم الله بنوره عن حقيقة حالتهم حتى يستطيع الحق أن يحررهم بدلاً من أن يستخدمونه فى الحكم **على الآخرين** .. فلو كان أولاد الله يطبِّقون **على أنفسهم** ما يصل إليهم من نور بدلاً من أن يطبِّقونه على الآخرين ، لما كانت حالتهم الروحية قد وصلت إلى هذه الدرجة من الانحطاط .

ومن أوضح علامات الحياة النفسانية : البحث عن الحق وقبوله ونشره بطريقة عقلية .. فإن هذا النوع العقلانى من المؤمنين يَعتبر أن أعظم الاختبارات الروحية وأعمق الحقائق الكتابية هى من أجل **إثراء الفكر** .. وهذا لا يعنى أنهم لا يتقدمون روحياً على الاطلاق ، ولكن الشيء الواضح هو أنهم يسعون أساساً نحو الاستيعاب العقلى .. وعلى الرغم من أن شغفهم بالأمور الروحية يكون كبيراً ، إلا أنهم **يحاولون إشباع هذا الشغف بالاعتماد على التفكير بدلاً من الاعتماد على الإعلان الإلهى** .. وهكذا فإنهم يصرفون وقتاً أطول وجهداً أكبر فى التفكير عنه فى الصلاة .

وكثيراً ما يخلط المؤمنون بين العواطف وبين الروحانية .. فالمؤمنين النفسانيين الذين يميلون إلى **العاطفة** يبحثون دائماً عن المشاعر فى حياتهم .. فإن كل مشتهاهم هو أن يشعروا بحضور الرب فى قلوبهم وفى حواسهم ، وأن يحسوا بلسعات نيران المحبة فى داخلهم .. إنهم يريدون أن يشعروا فى حياتهم الروحية بالنشوة والرفعة والنجاح .. ونحن بالطبع لا ننكر أن المؤمنين الروحيين يحسون أحياناً بهذه الأحاسيس ، ولكن فرحهم وتقدمهم لا يكون متوقفاً عليها .. **أما المؤمن النفسانى فهو يكون معتمداً اعتماداً كلياً على هذه المشاعر** .. فهو فى وجود هذه المشاعر يستطيع أن يخدم الرب بسهولة ، وفى غيابها لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة .

وأحياناً تكون **الإرادة** هى المجال الذى تظهر فيه الحياة النفسانية فى شكل « **اثبات الذات** ».. فإن هذا النوع من المؤمنين يجعل من ذاته محوراً تدور حوله جميع أفكاره وكلماته وتصرفاته .. فإذا بحث عن المعرفة فإنها تكون من أجل إشباع الذات ، وإذا بحث عن المشاعر فهى تكون من أجل إرضاء الذات ، وإذا قام بخدمة ما فهى تكون بحسب تخطيط الذات .. فإن محور حياته هو الذات ، وهدفه النهائى هو تمجيد الذات .

لقد سبق أن عرفنا أن كلمة « نفس » تأتى أحياناً فى الكتاب المقدس بمعنى « حياة نفسانية » (أى حياة طبيعية) ، وهذا اللفظ يعطينا فكرة عن أوجه نشاط الحياة النفسانية .. فجميع الأنشطة التى يقوم بها المؤمنون النفسانيون يمكن أن يُقال عنها أنها « أنشطة نفسانية » (أى طبيعية) .. فهى تتميز بالحركة الكثيرة ، والتخطيط الكثير ، والأفكار المشوشة ، والمشاعر المتضاربة .. فالكيان كله يكون فى هياج مستمر ، من الداخل ومن الخارج .. وذلك لأن العواطف عندما تنشط فإن نشاطها ينعكس على الكيان كله ، وحتى إذا بردت العواطف ، فإن العقل لا يكف عن توتره .. هذه هى حياة المؤمن النفسانى : **حركة ونشاط مستمر ، إن لم يكن نشاطاً جسمانياً فهو إما ذهنياً أو عاطفياً** .. وهذا النشاط يكون نشاطاً نفسانياً بحتاً ، لا يمت بأى صلة إلى حياة الروح .

وتلخيصاً لما سبق يمكننا أن نقول أن « حياة النفس » تقود المؤمنين إلى السلوك بالاعتماد على طاقاتهم الطبيعية ، وإلى خدمة الله بحسب أفكارهم الشخصية ، وإلى الاقتراب من الرب بأساليب حسية ، وإلى فهم الكتاب المقدس بطريقة عقلية .

فإذا لم يعطنا الرب فهماً لحقيقة ذواتنا الطبيعية ، فإننا سوف نقاد إلى استخدام قوة هذه الذات فى خدمته ، مما يؤدى إلى حرماننا من الثمر الحقيقى وإلى تأخر حياتنا الروحية .. فليت الروح القدس يعلمنا أنه من المخزى لنا أن نعمل أعمال الله بقوة حياتنا الذاتية ، وليته يقودنا إلى أن نندم فى التراب والرماد بدلاً من أن نسعى نحو المراكز المرموقة فى نظر الناس .

ضرورة التخلى عن حياة النفس

ما أكثر المؤمنين الذين يجهلون مدى خطورة الحياة النفسانية .. فإنهم يعترفون أنه من الواجب فعلاً أن يرفض المؤمن **أعمال الجسد الخاطئة** لأنها تنجس الروح ، ولكنهم لا يعرفون ما هو الخطأ فى أن يسلكوا بقوة **حياة الذات** ، تلك الحياة التى يشتركون فيها مع سائر البشر .. ؟ ما الذى يمنعهم أن يعيشوا **بقوة حياتهم الطبيعية** طالما أنهم لا يخطئون ..؟ إنهم لا ينكرون أن كسر وصايا الله هو خطأ أكيد ، ولكنهم لا يعرفون كيف يمكن أن تكون محاولة عمل الصلاح هى خطأ أيضاً ..؟ وبالنسبة للخدمة فإنهم يقولون : ماذا يعنينا إذا كانت تتم بقوة الله أو بقوتنا

الذاتية ..؟ أليست هى فى جميع الأحوال خدمة الله ..؟ وحتى إذا لم تكن من الله ، فهى على الأقل ليست شراً .. طالما أن الله أعطانا مواهب فلماذا لا نستخدمها ..؟ أليس من واجبنا أن نُشغِّل مواهبنا ..؟

وقد تتخذ تساؤلاتهم مساراً آخر فيقولون : إننا نكون بلا شك مخطئين إذا أهملنا كلمة الله ، ولكن ما هو الخطأ إذا حاولنا أن ندرسها **بأذهاننا** ، وأن نفهم معانيها **بعقولنا** ..؟ فنحن لا نزال نجهل الكثير من تعاليم الكتاب ، كيف نقدر إذاً أن نعرفها إذا لم نستخدم **عقولنا** ..؟ ألم يُعطِنا الله العقل لكى نستخدمه ..؟ وطالما أننا لا نستخدمه فى أغراض سيئة ، بل نستخدمه من أجل التخطيط لخدمة الله ، فهل من المعقول أن يكون ذلك خطأ ..؟

ثم يتقدمون خطوة أخرى فى اعتراضاتهم ويقولون : نعم ، نحن نطلب من الله أن يملأ **مشاعرنا** بحضوره ، ولكن هذه الطلبة تكون دائماً نابعة من قلب أمين .. ألم نختبر مراراً كيف أن الله يرفعنا من ضعفنا بأن يشعل فى قلوبنا نيران محبته أو بأن يعطينا إحساساً قوياً بحضوره معنا ..؟ أليست هذه هى قمة الروحانية ؟ وإذا فقدنا هذه المشاعر فهل يكون من الخطأ أن نطلبها بإلحاح إلى أن نستعيدها مرة أخرى ..؟

وهكذا تظل هذه التساؤلات تدور فى أذهان المؤمنين ولا يجدون لها إجابة لأنهم لم يختبروا بعد تعليم الكتاب المقدس بخصوص « حياة النفس » .. فإنهم لا يميزون بين ما هو روحى وما

هو نفسى ، لأنهم لم يحصلوا بعد على إعلان شخصى من الروح القدس يكشف لهم عن مدى فساد حياتهم الطبيعية .. لذلك فإنهم يحتاجون أن ينتظروا بإخلاص أمام الله لكى يعلّمهم ، وأن يطلبوا من الروح القدس أن يكشف لهم عن حقيقة ذواتهم .. يجب عليهم أن يفعلوا ذلك بكل تواضع ، وأن يكونوا مستعدين أن يتخلوا عن أى شيء يكشفه لهم الروح القدس .

وفى الوقت المناسب سوف يعطيهم الروح القدس أن يكتشفوا أن كل أعمالهم ومجهوداتهم لم يكن هدفها الله بل الذات ، وأنهم كانوا يعملون الصلاح ليس فقط **بقوتهمْ الذاتية** ولكن أيضاً **لتمجيد ذواتهم** .. لم تكن إرادة الله هى الدافع لهم للخدمة ، ولم تكن لديهم الرغبة فى طاعة الله وفى عمل كل شيء بحسب إرشاده وبالاعتماد على قوته .. كلا ، فإنهم كانوا يعملون فقط ما يحلو لهم .. أما صلواتهم وجهادهم فى طلب مشيئة الله ، فقد كانت كلها ظاهرية .. ومع أنهم يعتزون بما لديهم من مواهب إلا أنهم يتجاهلون الله الذى أعطاهم هذه المواهب .. إنهم شغوفين جداً بكلمة الله ، ولكن شغفهم هذا هو بهدف إشباع العقل فقط ، فإنهم غير مستعدين أن ينتظروا أمام الله لكى يعطيهم إعلاناً فى حينه .. إنهم يطلبون من الله بلجاجة أن يعطيهم إحساساً بحضوره وبمحبته وباقترابه منهم ، ولكن هذه الطلبات ليست من أجل الله بل من أجل سعادتهم الشخصية .. فهذه ليست محبة لله ، بل محبة للمشاعر المنعشة .. إن حياتهم

بأكملها تسعى نحو تمجيد الذات وإشباع رغباتها .

وهكذا يكشف الروح القدس للمؤمن عن مدى فساد الحياة الطبيعية ، وكيف أنه من الغباء أن يظل متمسكاً بها .. وهذا الكشف لا يأتى كله دفعة واحدة ، بل يأتى شيئاً فشيئاً فى مواقف متعددة .. فعندما يحصل المؤمن على استنارة من الروح القدس للمرة الأولى ، فإنه يتوب فى الحال ويُقدم ذاته للموت بكامل إرادته .. ولكن القلب البشرى أخدع من كل شيء ، فسرعان ما تعود محبة الذات والثقة فى الذات مرة أخرى بعد بضعة أيام .. ولذلك فإنه يكون من الضرورى أن يحصل المؤمن من آن لآخر على استنارة جديدة حتى يتعلم أن ينكر تماماً حياته الطبيعية .. ولكن الشيء المؤسف حقاً هو أن الذين يخضعون للرب فى هذا الأمر بدون أن يقاوموا هم قليلون ، أما الغالبية العظمى فإنهم لا يتخلون عن ميولهم الطبيعية إلا بعد أن يتكبدوا الكثير من الخسائر ويتعرضوا لقدر كبير من الخزى ، وفى النهاية يسلّمون تسليماً كاملاً .

لذلك يجب على المؤمنين أن يكفّوا عن غباوتهم ، وأن يعطوا الفرصة للروح القدس لكى يعلن لهم عن فساد حياتهم الطبيعية .. يجب عليهم أن يعرفوا أن مسلكهم الطبيعى لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن يرضى الله .. يجب عليهم أن يقبلوا بالإيمان حكم الله فى هذا الأمر وأن ينتظروا بصبر حتى يعلن الروح القدس فيهم الحياة التى بحسب فكره .

المخاطر التى تواجه المؤمن النفسانى

عندما يفشل المؤمن أو يتوانى فى تحقيق ما يريده الله ، فإنه يُعرِّض نفسه لمخاطر معينة .. ونحن نعرف أن الله يريد لأولاده أن يسلكوا ، لا بالنفس ولا بالجسد ، بل بالروح .. لذلك فإن فشل المؤمن فى السلوك بالروح يُعرضه لمخاطر عديدة ، منها :

أولاً : خطورة إخماد وظيفة الروح :

إن عمل الله فى الإنسان يسير دائماً بحسب النظام التالى فهو يحرك أولاً روح الإنسان ، ثم ينير ذهنه ونفسه ، وأخيراً يقود جسده إلى تنفيذ الشىء المطلوب .. هذا الترتيب هو فى منتهى الأهمية .. فبمجرد أن يولد المؤمن من الروح القدس ، يصبح من الضرورى له أن يعيش بالروح ، لأنه بهذه الطريقة وحدها سوف يقدر أن يتمم مشيئة الله وأن يتعاون مع الروح القدس فى التصدى لجميع حيل العدو .. لذلك يجب أن روح المؤمن تكون متنبهة لتحركات الروح القدس وأن لا تعوق حركته بل تطيعها بكل دقة حتى يتمكن روح الله من إتمام مقاصده من خلال روح الإنسان .. **فإن روح الله يحتاج أن تكون أرواحنا متعاونة معه حتى يستطيع أن يقودنا إلى النصرة فى حياتنا اليومية وأن يؤهلنا للقيام بالأعمال الصالحة التى أعدها الله لنا .**

ولكن الكثيرين من أولاد الله لا يميزون تحركات الروح القدس .. فإنهم لا يفرقون بين ما هو نفسى وما هو روحى ، ونتيجة لذلك فإنهم ينقادون وراء أمور نفسية على اعتبار أنها روحية .. وأيضاً فى سلوكهم وخدمتهم ، فإنهم يعتمدون أساساً على طاقة النفس ، وبالتالى فإنهم يعوقون أرواحهم عن التعاون مع روح الله لإتمام قصده من جهتهم .

وطالما أن المؤمن يعيش بالنفس ، فإنه يتحرك بحسب أفكاره وتصوراته وتخطيطاته الشخصية .. وهو أيضاً يسير وراء مشاعره ، بمعنى أنه عندما تكون لديه اختبارات حسية فهو يعمل بمنتهى النشاط ، أما إذا فقد هذه الاختبارات فإنه لا يستطيع أن يرفع إصبعاً واحداً .. وهكذا فإن المشاعر تصبح هى قاعدة حياته ، وكما تتغير مشاعره يتغير هو أيضاً .. أما حياة الروح فهو يكون عاجزاً تماماً عن ممارستها ، **وهذا يؤدى إلى تبلد حساسيته الروحية تحت ضغوط النفس والجسد** .. وهكذا فإن هذا المؤمن تكون إحساساته مقتصرة فقط على النطاق النفسى والجسدى ، أما إحساسه الروحى فهو يكون منعدماً ، وبالتالى فإن روحه تصبح غير قادرة أن تتعاون مع الله ولا أن تستمد منه القوة والإرشاد اللازمين للجهاد وللخدمة .

إننا لن نستطيع أن ننضج أبداً إذا لم نعطِ للروح السيطرة الكاملة على كياننا ، وإذا لم تعتمد حياتنا اعتماداً كاملاً على طاقة

الروح .. فالإحساس الروحى هو إحساس رقيق جداً ، لا يستطيع حتى الذين تدربوا على سماعه أن يميزوه بسهولة ، فكم بالحرى يكون من الصعب تمييزه إذا كانت مشاعر النفس الصاخبة لا تكف عن التشويش عليه ..! فالمشاعر النفسانية لا تشوش فقط على الإحساس الروحى ولكنها تستطيع أيضاً أن تخمده .

ثانياً : خطورة العودة إلى النطاق الجسدى :

نحن نعرف أن معظم أعمال الجسد المذكورة فى غلاطية ٥ مصدرها **شهوات الجسد** ، ولكن بعضها يرجع إلى **نشاط النفس** .. فمن الواضح أن الغيرة والتحزب والشقاق هى أعمال تنبع من نفس الإنسان أو ذات الإنسان .. فهذه ليست إلا نتيجة لتعدد آراء المؤمنين وتمسك كل منهم برأيه .. وهنا يجب علينا أن نلاحظ شيئاً فى منتهى الأهمية وهو أن **أعمال النفس هذه تأتى فى نفس القائمة مع باقى أعمال الجسد** مثلها مثل « الزنى والعهارة والنجاسة والدعارة والسكر والبطر » .. وهذا من شأنه أن يُذكرنا بأن النفس والجسد هما فى الواقع على صلة وثيقة ببعضهما البعض وذلك لأن أجسادنا التى نعيش فيها الآن هى « أجساد نفسانية » أو كما يقول الكتاب « أجسام حيوانية » (١كو ١٥:٤٤) .. ولهذا السبب ، فإن المؤمن إذا اهتم فقط بإخضاع طبيعته الخاطئة ولم يهتم بإخضاع ذاته الطبيعية ، فإنه سرعان ما سيجد أنه بعد أن

اختبر النصرة على الخطية بفترة قصيرة ، قد عاد إلى نطاق الجسد مرة أخرى .. ومع أنه قد لا يعود إلى الخطية فى شكلها القبيح ، إلا أنه فى جميع الأحوال يكون مستعبداً لها .

يجب علينا أن نفهم أن الصليب هو المكان الذى يتعامل فيه الله مع « الخليقة القديمة » .. والصليب لا يتعامل مع الخليقة القديمة تعاملاً جزئياً ، بل تعاملاً شاملاً .. ولذلك فنحن لا نستطيع أن نقترب من الصليب طالبين **الخلاص** على أساس موت المسيح بدلاً عنا ، بدون أن نقبل أيضاً **النصرة** على أساس موتنا نحن مع المسيح .. فبمجرد أن نقبل المسيح بالإيمان كمخلص شخصى لنا ، يبدأ الروح القدس يضع فينا الأشواق إلى اختبار موتنا الاتحادى مع المسيح ، بغض النظر عن مدى فهمنا لهذا الاختبار .. فإذا قاومنا هذه الرغبة الداخلية ، فمع أننا لا نفقد حياتنا الجديدة إلا أننا نفقد القدرة على التمتع بها ، ونفقد حتى بهجة الخلاص .. فالصليب لا يتوقف أبداً عن تحقيق هدفه ، بل يظل يعمل فينا بأكثر عمق إلى أن يتم صلب الطبيعة العتيقة تماماً بطريقة اختبارية .. فهذا هو هدف الصليب : إلغاء جميع الأشياء الموروثة من آدم .

وبعد أن نختبر النصرة على الخطية ، يبقى أمامنا أن نتقدم خطوة أخرى بأن نتغلب على حياتنا الذاتية .. فإذا توانينا فى اتخاذ هذه الخطوة ومكثنا فى النطاق النفسى ، فإننا سوف نكتشف أن

النفس والجسد قد اتحدا مرة أخرى بالتدريج وأعادا إلينا الخطايا التى سبق أن تخلصنا منها .. وهذا يمكن تشبيهه بالسباحة ضد التيار : إذا لم نتقدم فإننا لا بد أن نتقهقر .. فإذا لم يتمم الصليب عمله فينا كاملاً ، نكون معرَّضين أن نفقد كل ما حصلنا عليه .. وهذا يفسر لنا سبب عودة الكثيرين إلى حالتهم القديمة بعد فترة من اختبارهم للنصرة على الخطية .. فإننا إذا سمحنا لحياة الذات (أى الحياة القديمة) بالبقاء ، فإنها سرعان ما تتحد مع الطبيعة القديمة (أى الخطية) وتجرفنا مرة أخرى إلى الوراء .

ثالثاً : خطورة أن قوات الظلمة تنتهز الفرصة :

توضح لنا رسالة يعقوب العلاقة بين الحياة النفسانية والنشاط الشيطانى ، علماً بأن هذه الرسالة مكتوبة إلى مؤمنين :

« من هو حكيم وعالم بينكم فليُرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة . ولكن إن كان لكم غيرة مُرَّة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق . ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى أرضية **نفسانية شيطانية** » (يع ٣:١٣ــ١٥) .

هناك حكمة مصدرها الشيطان ، وهذه الحكمة تشبه تلك التى تنبع من النفس البشرية .. « فالجسد » بجزئيه النفسانى والجسمانى ، هو معمل الشيطان .. فالشيطان يعمل من خلال النفس تماماً مثلما يعمل من خلال الجسد .. وهذه الآيات

توضح لنا أن الغيرة المرة تنبع من **الحكمة النفسانية** ، وأن مصدرها هو **النشاط الشيطانى** فى النفس البشرية .. إن كل المؤمنين يعرفون أن الشيطان يستطيع أن يوقع الناس فى الخطية ، ولكن هل يعلمون أيضاً أنه يستطيع أن يغرس أفكاراً معينة فى ذهن الإنسان ..؟ لقد سقط الإنسان قديماً بسبب حبه للمعرفة وللحكمة .. ولا زال الشيطان يستخدم نفس الأسلوب اليوم لكى يتخذ من نفس المؤمن مركزاً لعملياته .

إن غرض الشيطان هو أن يحتفظ لنفسه بأكبر قدر ممكن من إنساننا العتيق .. فإذا فشل فى أن يوقع المؤمنين فى الخطية ، فإنه لا بد أن ينتهز فرصة جهلهم بحيله وعدم رغبتهم فى الخضوع للروح القدس ، وهكذا يغريهم بأن يحافظوا على حياتهم الذاتية ولا يفرطوا فيها .. فهو يعرف أنه إذا فشل فى هذه النقطة ، فإن كل قوات الجحيم لن تقوى على هذا الإنسان .. فبقدر ما يتحد المؤمنون بالرب فى الروح ، بقدر ما يفيض الروح القدس فى أرواحهم ، وبقدر ما يأخذ الصليب مجراه فيهم .. وهكذا فإنهم يتحررون أكثر وأكثر من الطبيعة العتيقة ولا يتركون للشيطان مجالاً يعمل من خلاله .

يجب علينا أن نعرف أن كل أعمال الشيطان ، سواء الهجومية أو الخداعية ، تتم من خلال « طبيعتنا العتيقة » .. فهو لا يجرؤ أن يقترب من « طبيعتنا الجديدة » التى هى حياة الله

نفسه .. ولذلك فهو يحرص دائماً أن يقنعنا بالاحتفاظ بأى جزء من طبيعتنا العتيقة (سواء فى شكل خطية أو فى شكل حياة ذاتية) لكى يقدر أن يستمر فى ممارسة نشاطه من خلالها .. إنه يخدع المؤمنين لكى يجعلهم يحبون حياتهم الذاتية ويتمسكون بها على الرغم من أنهم يكرهون الخطية .

لقد كنا قبل الإيمان نسلك « فى شهوات جسدنا » (هذه هى خطايا الجسد) « عاملين مشيئات الجسد والأفكار » (هذه هى حياة النفس أو الذات) (أف ٢ : ٣) .. ومن العدد السابق نفهم أن كلا من شهوات الجسد ومشيئات الذات لها مصدر واحد وهو الروح الشرير .. فليت جميع أولاد الله يفهمون أن أفعال الشيطان التخريبية لا تقتصر على الجسد ، ولكنها تشمل النفس أيضاً ، وأنهم لهذا السبب يحتاجون أن يتحرروا ليس فقط من الخطية بل أيضاً من الذات الطبيعية .. ليت الروح القدس يفتح عيوننا لكى نبصر أهمية هذه الخطوة .. فإننا لو استطعنا أن نتحرر تدريجياً من قوة الحياة الذاتية ، تماماً مثلما تحررنا من قوة الخطية ، لكان فى استطاعتنا أن نهزم الشيطان هزيمة أكيدة فى جميع المجالات .

إن المؤمنين الجسديين ، لا يعرفوا كيف يحرسوا أفكارهم ولذلك فإن الشيطان يستطيع أن يستغل **الحكمة البشرية الطبيعية** لتحقيق أغراضه .. فهو يستطيع أن يزرع خفية فى ذهن الإنسان

أفكاراً رديئة وآراء متحيزة تشكك فى الحق الإلهى وفى صدق الآخرين .. نعم ، ما أكثر أن أعاقت هذه الهواجس عمل الروح القدس فى الإنسان ، فعلى الرغم من حُسن نوايا الإنسان ، إلا أن أفكاره دائماً تهزمه وتسيطر عليه .

ويستطيع الشيطان أيضاً أن يستخدم المُثُل العليا لإعاقة عمل الروح القدس .. بل إنه يستطيع أيضاً أن يمنح المؤمن أفكاراً سامية ورؤى حتى يجعله يظن أن هذه الأفكار الفوق طبيعية هى بلا شك من الله ، وهكذا ينحدر المؤمن إلى مزيد من الغش والخداع .

وقبل أن يسلِّم المؤمن حياته الذاتية للموت ، يكون ذهنه أيضاً ممتلئاً بالفضول ، فهو يريد أن يعرف كل شىء وأن يبحث ويستنتج : هذه كلها أشياء تعطى فرصة للأرواح الشريرة لكى تعمل .

ويستطيع العدو أيضاً أن يعمل من خلال **الجزء العاطفى من النفس** .. فما أكثر المؤمنين الذين يشتهون أن يحصلوا على إحساسات جميلة فى مشاعرهم ، كأن يشعروا مثلاً بحضور الله ، أو بمحبة الرب يسوع ، أو بامتلاك الروح القدس .. هؤلاء ، تستطيع الأرواح الشريرة أن تزود مشاعرهم بكافة الاختبارات الغريبة التى يشتهونها ، إذ أنها تثير عواطفهم الطبيعية وتجعلها تطغى على الصوت الهادىء الذى يهمس به الروح القدس فى

أرواحهم .. هذه الأمور سوف نناقشها تفصيلياً بمشيئة الرب فى أجزاء لاحقة .

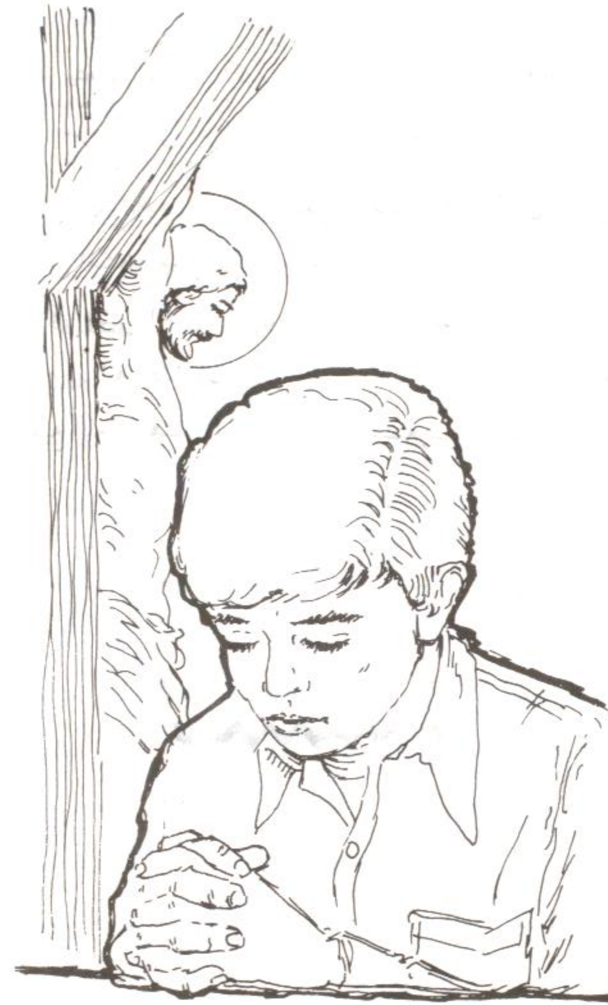
إن المؤمن الذى لا يتعامل بكل حزم مع ذاته لا بد وأن يتكبد خسائر روحية فادحة فى حربه مع الشيطان .. ويعلمنا سفر الرؤيا أحد الشروط الهامة للانتصار على الشيطان وهو رفض حياة النفس وتسليمها للموت « وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم **ولم يحبوا حياتهم حتى الموت** » (رؤ ١٢ : ١١) .. فنحن لن نستطيع أن نغلب عدونا إلا بعد أن نسلِّم للصليب محبتنا لذواتنا وإشفاقنا عليها .. فجنود المسيح لا يمكن أن ينتصروا إذا أحبوا حياتهم ، لأن الشيطان يستطيع بسهولة أن يغلب كل من يجعل لذاته اعتباراً .

إن أى شىء نتمسك به يكون بمثابة نقطة ضعف فينا أمام عدونا .. فليس هناك وسيلة للتغلب على العدو إلا بأن نسلِّم حياتنا الطبيعية للموت .. فالنفس غير المنضبطة التى لم يتعامل الصليب معها تعطى للشيطان أعظم فرصة للعمل .. فهى الطابور الخامس للعدو فى داخلنا .. ومهما كانت معرفتنا للحق كبيرة ، فإن النفس سوف تظل دائماً هى نقطة ضعفنا .. والشىء المؤسف حقاً هو أنه بقدر ما يكون المؤمن روحياً ، بقدر ما تكون حياته الذاتية من الصعب اكتشافها ..! وبقدر ما يكون الجزء النفسانى ضئيلاً فى الإنسان ، بقدر ما يكون من الصعب

علاجه ..! فقد تكون هناك مجرد لمسة من الحياة الجسدية مختلطة بالحياة الروحية ، ولكن هذه اللمسة وحدها تكون كافية أن تطمس القدرة على التمييز بين ما هو روحى وما هو جسدى .. فإذا لم يتعلم المؤمنون كيف يقاومون الشيطان ، فإن حياتهم الذاتية سوف تظل على الدوام مصدراً للهزيمة .

لا يستطيع أحد أن يتوقع حجم الدمار الذى يمكن أن ينتج عن استخدام الشيطان لحياة الذات .. لذلك يجب علينا أن نكون فى منتهى الحذر .. إن الله يريدنا أن ننكر كل شىء ورثناه من آدم .. إنه يريدنا أن ننكر حتى حياتنا وذواتنا .. فيجب علينا أن نطيع الله فى هذا الأمر ، وإلا فإننا سنتعرض لأعظم الأخطار .

٤ _ الصليب والنفس



دعوة الصليب

لقد وجَّه الرب يسوع الدعوة لتلاميذه فى أربعة مواقف مختلفة طالباً منهم أن **ينكروا حياتهم الذاتية ويسلِّموها للموت ، ثم بعد ذلك أن يتبعوه** .. فإن الرب كان يعرف أن هذا هو الشرط الرئيسى لكل من يريد أن يتبعه ، وأن يتمثل به فى عمل مشيئة الله وفى تقديم العون للناس .. وفى كل من هذه المرات ، تكلم الرب يسوع عن حياة النفس ، إلا أنه فى كل مرة كان يتكلم عنها من زاوية مختلفة .. فإن حياة النفس لها عدة أشكال تستطيع أن تظهر من خلالها ، ولذلك فإن الرب كان يتكلم فى كل مرة عن أحد هذه الأشكال .. لقد دعا الرب تلاميذه ليسلِّموا حياتهم الذاتية للصلب .. وكل من يريد أن يكون تلميذاً للمسيح يجب عليه أن يصغى باهتمام إلى هذه الدعوة .

الصليب والمحبة النفسانية

« ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى . ومن وجد حياته (الذاتية) يضيعها . ومن أضاع حياته (الذاتية) من أجلى يجدها » (مت ١٠:٣٨،٣٩) .

تدعونا هذه الأعداد إلى التخلى عن **عواطفنا الطبيعية** وإلى تسليمها للصلب من أجل الرب .. فلقد وضَّح الرب يسوع فى الأعداد السابقة كيف أن أعداء الإنسان سوف يكونون هم أهل بيته ، وكيف أنه من أجل خاطر الرب سينفصل الابن عن أبيه ، والإبنة عن أمها والكنة عن حماتها .. هذا هو الصليب الذى ينبغى أن نصلب أنفسنا عليه .. فإن مشاعرنا الطبيعية تميل إلى التعلق بالأشخاص الذين نحبهم .. فهى تجعلنا نحب أن نتودد إليهم وأن نستمع إليهمونستجيب لرغباتهم .. ولكن الرب يسوع يدعونا أن نرفض هؤلاء الأشخاص المحبوبين إذا كانت علاقتنا بهم تقودنا إلى عصيان الله .. فعندما تتعارض إرادة الله مع إرادة الناس يجب علينا أن نأخذ صليبنا من أجل خاطر الرب وأن نسلم عواطفنا النفسانية للموت ، مهما كان الشخص المعنىّ عزيز لدينا .. فالرب يسوع يريد أن يطهرنا من المحبة الطبيعية ، لذلك فهو يقول أن « من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابناً أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى » (مت ١٠:٣٧) .

« إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً . ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (لو ١٤:٢٦،٢٧) .

فالبشير متى يوضح لنا أنه فى موضوع المحبة ، ينبغى على المؤمنين أن يختاروا محبة الرب أولاً قبل محبة الأقارب .. أما البشير لوقا فهو يوضح لنا الموقف الذى يجب علينا أن نتخذه إزاء المحبة التى تنشأ من عواطفنا الطبيعية .. فهو يقول أن هذه المحبة يجب علينا أن نبغضها .. وبمعنى آخر ، يجب علينا ألا نحب لمجرد أن هؤلاء هم الأشخاص الذين تتجه إليهم عواطفنا بالطبيعة .. كلا فالوالدين والإخوة والأخوات والزوجات والأولاد مهما كانوا أعزاء لدينا ، يجب علينا ألا نتعلق بهم بعواطفنا الطبيعية ، لأن هذه المحبة الطبيعية يكون منشأها النفس ويكون هدفها إرضاء الرغبات الطبيعية .. فالرب يريدنا أن ننكر هذه المحبة النفسانية وأن نسلمها للموت .. إنه يريدنا أن نحب ، ولكن ليس بمحبتنا الطبيعية .. وهو يريدنا أن نحب الآخرين ليس من أجل خاطرهم هم ولكن من أجل خاطره هو .

إن الرب يريد أن يجدد علاقتنا بالآخرين .. فهو يريد أن يعطينا حبه هو لكى نحب به الآخرين .. وبمعنى آخر فإنه يريد أن يكون هو المتحكم فى محبتنا ، **بحيث نكون قادرين أن نحب حتى**

الأعداء عندما يريدنا الله أن نفعل ذلك ، ونكون قادرين أن نرفض أقرب الأقرباء عندما تكون هذه إرادته .. إنه يريدنا أن نخدمه بحرية ، لذلك فهو لا يرضى أن قلوبنا تتعلق بأى إنسان .

ولممارسة هذا المفهوم الجديد للمحبة ، يحتاج الإنسان أن ينكر حياته الذاتية .. وهذا هو الصليب .. فالمؤمن عندما يطيع الرب وينكر عواطفه الطبيعية ، لا بد أن عواطفه سوف تتألم بشدة .. ولكن هذا الألم وهذا الحزن يكون بمثابة صليب عملى بالنسبة له .. إن التخلى عن الأشخاص المحبوبين ليس بالأمر السهل ، فهو يكون دائماً مصحوباً بدموع كثيرة وجروح عميقة فى النفس .. ولكن هذه هى الوسيلة التى بها نسلّم حياة النفس للموت لكى نتحرر من قوتها وسطوتها علينا .. وبعد أن نفقد عواطفنا الطبيعية عند الصليب ، يبدأ الروح القدس يجد مكانه فى أنفسنا فيبدأ يسكب فيها من محبة الله ، وهكذا يجعلنا قادرين أن نحب الآخرين من خلال الله وبنفس محبته هو .

وهنا يجب علينا أن نلاحظ أن هذه المحبة البشرية التى تنبع من حياة النفس الطبيعية ليست خطية ، بل هى **عاطفة مشروعة** تماماً يقرها العرف البشرى .. فإن محبة الأهل لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تكون خطية ، وإنما هى **شىء طبيعى** يشترك فيه جميع البشر على حد سواء .. ولكن الدعوة التى يدعونا إليها الرب هنا هى أن **نتغلب على ما هو طبيعى** ، **وأن ننكر حتى**

حقوقنا المشروعة — من أجل خاطر الله .. فإن الله يريدنا أن نحبه أكثر مما نحب « اسحق » الذى بين أيدينا ..! فعلى الرغم من أن حياتنا الطبيعية معطاة لنا من الله الخالق ، إلا أنه لا يريدنا أن نعيش بموجبها .. ولا يستطيع الإنسان الطبيعى أن يفهم السبب ، ولكن المؤمن الذى بدأ يفقد حياته الذاتية وبدأ يلتحم بحياة الله لا بد وأن يعرف أهمية هذا الأمر .. فمن يتخيل أن الله يأمر ابراهيم بأن يقدم له إسحق على المذبح ، بعد أن كان قد أعطاه له بناء على وعد ..؟ فالذين يعرفون قلب الله ، لا يمكن أن يتمسكوا بعطايا الله ، بل بالحرى يتمسكون بالله نفسه واهب العطايا .. إن الله لا يريدنا أن نتعلق بأى شخص أو بأى شىء سواه ، حتى إذا كان هو الذى أعطانا هذا الشىء .

إن مؤمنين كثيرين على أتم استعداد أن يغادروا أور الكلدانيين ، ولكن قليلين منهم مستعدين أن يقدموا اسحق ، **المُعطى من الله** ، على جبل المريَّا .. هذا هو أحد دروس الإيمان العميقة التى تدل على ارتباطنا بالله .. فإن الله يريد أن أولاده يتركون **كل شىء** ، لكى يكونوا له بالكامل .. إنه يريدهم أن يتخلوا ليس فقط عن الأشياء الرديئة ، بل أيضاً عن الأشياء المشروعة — كالمحبة البشرية مثلاً — حتى يصبحوا تحت سيادة الروح القدس وحده .

هذا المطلب الإلهى هو فى منتهى الأهمية ، وذلك لأن المحبة

البشرية صعبة المراس للغاية .. ولهذا السبب فإنه من الضرورى أن تُسلَّم تلك المحبة للصليب ، وإلا فإنها سوف تشكل عائقاً كبيراً أمام الحياة الروحية .. إن المشاعر البشرية دائمة التقلب ، وسهلة الإثارة ، لذلك فهى تستطيع بسهولة أن تؤثر على سلامنا الروحى وأن تجعلنا نفقد اتزاننا .. فما أكثر الأحزان والآلام والدموع التى تُذرف بسبب **تأثر المشاعر** ..! لذلك يجب أن يتسيد الرب على عواطفنا أولاً ، وإلا فإنه لن يقدر أن يتسيد علينا بالمرة .. هذا هو المقياس الدقيق للروحانية .. لذلك يجب علينا أن نكره حياتنا النفسية وأن نرفض ما تمليه علينا من عواطف .. فإن اتجاهات الله تختلف تماماً عن اتجاهاتنا الطبيعية .. فهو يريدنا أن نبغض الأشياء التى كنا نحبها قبلاً ، وأن نبغض حتى حياتنا الطبيعية التى كانت قبلاً مصدر الحب فينا .. هذا هو الطريق الروحى .. فإذا حملنا الصليب بصدق ، فإن عواطفنا الطبيعية لن تستطيع فيما بعد أن تسيطر علينا ، بل على العكس فإننا سوف نقدر أن نحب بقوة الروح القدس .. هذه هى الطريقة التى كان الرب يسوع يحب بها أقاربه عندما كان هنا على الأرض .

الصليب والذات

« حينئذ قال يسوع لتلاميذه : إن أراد أحد أن يأتى ورائى **فلينكر نفسه** ويحمل صليبه ويتبعنى . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن **يهلك نفسه** من أجلى يجدها » (مت ١٦ :٢٤، ٢٥) .

وهنا يدعو الرب تلاميذه مرة أخرى إلى حمل الصليب وذلك بأن يسلّموا للموت **حياتهم الذاتية** .. فبينما كانت الإشارة فى متى ١٠ إلى **العواطف الطبيعية** ، فإن الإشارة هنا هى إلى **الذات الطبيعية** .. لقد كان الرب يسوع يكلم تلاميذه فى هذه المرة عن اقتراب موعده مع الصليب .. وهنا نجد بطرس بدافع من حبه الشديد لسيده يقول له بإنفعال : « حاشاك يا رب ، لا يكون لك هذا » .. لقد كان بطرس يهتم بالأمور البشرية « بما للناس » ولذلك فهو أراد أن يقنع سيده بأن يتجنب آلام الصليب .. لم يكن بطرس يعرف ما معنى أن يهتم الإنسان « بما لله » حتى عندما يستدعى الأمر موت الصليب .. لم يكن يعرف أن الاهتمام بعمل مشيئة الله هى أهم بكثير من عمل إرادة الذات .. ولذلك فقد كان لسان حاله : « نعم يارب ، إن موت الصليب هو الطريق لإطاعة الله ولإتمام مشيئته .. ولكن يجب عليك أيضاً أن تفكر فى نفسك وفى الآلام التى تنتظرك .. أرجوك يا رب **أن تشفق على نفسك** ، ولا تذهب إلى الصليب ..! » .

ولكن ماذا كان رد الرب على بطرس ..؟ لقد وبخه بشدة وأعلن له أن الشيطان هو مصدر هذه الفكرة .. ثم اتجه إلى باقى التلاميذ وقال لهم : « لست أنا فقط الذى سأذهب إلى الصليب بل أنتم أيضاً الذين تتبعونى وتريدون أن تكونوا لى تلاميذاً ، سوف تسيرون فى نفس الطريق .. لا تظنوا أنه مطلوب منى أنا وحدى أن أتمم مشيئة الله ، فجميعكم مُطالَبون بنفس هذه المهمة .. فكما أننى لم أشفق على نفسى بل أطعت الله طاعة كاملة ولو إلى موت الصليب ، كذلك أنتم أيضاً يجب عليكم أن تنكروا حياتكم الذاتية وتكونوا مستعدين أن تفقدوها من أجل طاعة الله » .. لقد كان مبدأ بطرس هو « **الإشفاق على النفس** » أما مبدأ الرب فقد كان « **انكار النفس** » .

إن عمل إرادة الله ليس بلا ثمن .. لذلك فإن الجسد يرتجف أمامها .. فعندما تكون الذات هى صاحبة السيادة لا يستطيع الإنسان أن يطيع أوامر الله ، لأن الذات تحب دائماً أن تعمل إرادتها هى وليس إرادة الله .. فعندما يدعونا الله أن ننكر أنفسنا عند الصليب وأن نتخلى عن كل شىء من أجله ، يكون رد الفعل التلقائى من جانب حياتنا الطبيعية هو **الإشفاق على الذات** ، وهذا يجعلنا بالتالى نصبح غير مستعدين لدفع التكلفة .. لذلك فإن كل من يختار طريق الصليب الضيق ويقبل أن يحتمل من أجل المسيح ، لا بد أن تتعرض حياته الطبيعية للخسارة .. وهذا هو المقصود **بفقد حياة الذات** .. فعندما نفقد

حياتنا الذاتية ، تبدأ حياة المسيح الروحية تسود علينا سيادة كاملة عاملة فينا كل ما هو مرضى عند الله ونافع للناس .

ومن هذا الحديث الذى دار بين بطرس وبين الرب نستطيع أن نرى بوضوح مدى فساد حياة النفس .. فقبل هذا الحديث مباشرة كان بطرس قد تلقى إعلاناً من الله يكشف عن سر خطير ظل مخفياً عن البشر حتى هذه اللحظة — وهو أن يسوع هذا الذى يتبعوه هو فى الحقيقة « المسيح ابن الله الحى » (مت ١٦:١٦) .. ولكن بعد أن نطق بطرس بهذا الإعلان الجليل ، نجده يعود مرة أخرى ويقع فى قبضة حياة الذات محاولاً بكلمات جسدية أن يقنع سيده بالإشفاق على نفسه وعدم الذهاب إلى الصليب .. وهذا يعلمنا أنه **مهما سمت الرؤية والمعرفة الروحية فإنها لا تستطيع أن تحمينا من سطوة النفس** .. بل على العكس فإنه كلما سمت معرفتنا وتعمقت اختباراتنا ، كلما تخفَّت حياتنا الذاتية بحيث يصبح من الصعب اكتشافها .ورفضها .. فإذا لم يتعامل الصليب تعاملاً جذرياً مع حياتنا الطبيعية فإنها سوف تظل كامنة فى داخلنا .

وهناك درس آخر نستطيع أن نتعلمه من هذه الحادثة ، وهو أن حياة الإنسان الطبيعية مرفوضة من الله تماماً .. ففى هذا الموقف ، لم يتحمس بطرس من أجل نفسه بل من أجل الرب .. فهو يحب الرب ، ويشفق عليه ، ويريده أن يكون سعيداً .. إنه

يرفض بشدة أن يجتاز الرب هذه الآلام .. لقد كان قلب بطرس مخلصاً ، ونواياه كانت سليمة ، ولكنها كانت مبنية على الاعتبارات البشرية النابعة من حياة النفس .. هذه الاعتبارات مرفوضة من الله تماماً .. **فحتى الحماس من أجل الرب يكون مرفوضاً إذا كان نابعاً من الجسد** .. لقد كان الرب يسوع نفسه ينكر حياته الذاتية فى خدمة الله ، فكيف يمكننا نحن أن نفعل غير ذلك ..؟ إن الله يريدنا أن نسلِّم ذواتنا الطبيعية للموت ، ليس فقط لأنها تحب العالم ، بل أيضاً لأنها تحب أن تخدم الله .. إن الله لا يهمه كمية الخدمة التى نقوم بها ، ولكن يهمه فقط مصدرها .

فى نفس اللحظة التى كان فيها بطرس يُعبِّر عن محبته للرب كان أيضاً دون أن يدرى يكشف عن نظرته لنفسه .. لقد كان يعتبر أن جسد الرب يسوع أهم من عمل إرادة الله ، ولذلك فلقد كان يحاول أن يقنع الرب بأن يهتم بنفسه .. وهنا تظهر شخصية بطرس على حقيقتها .. نعم ، فإن الذات تعمل دائماً بالاستقلال عن إرادة الله ، وذلك لأنها تحب أن تخدم الله ولكن بحسب استحسانها الشخصى .. أما عمل إرادة الله فهو يعنى رفض الذات تماماً ورفض كل مشورتها .

لقد كان كلام بطرس فى هذه المناسبة (مت ١٦) نابعاً من ذاته الطبيعية ، ولذلك اهتم الرب أن يوضح لتلاميذه أهمية التخلى عن **حياة الذات** .. ولكنه فى نفس الوقت أعلن بوضوح

أن هذه الكلمات مصدرها **الشيطان** .. من هنا نفهم أن الشيطان يستطيع أن يستخدم حياة الإنسان الذاتية .. **فطالما أن** هذه الحياة الذاتية لم تُسلَّم للموت ، **فهى تكون أداة فعالة فى يد** الشيطان .. فمع أن بطرس كان يُعبِّر عن محبته للرب ، إلا أنه كان أداة فى يد الشيطان .. لقد كان يرجو الرب أن يشفق على نفسه ، غير عالم أن هذه الطلبة مصدرها الشيطان .. فالشيطان يستطيع أن يوحى إلينا بأن نحب الرب وبأن نصلى ، لأن هذه الأشياء لا تخيفه ، ولكن ما يخيفه حقاً هو أن نعمل هذه الأشياء ليس بدافع من طاقتنا الطبيعية .. **فطالما أن حياتنا الطبيعية باقية يضمن الشيطان نجاح عمله** .. ليت الله يكشف لنا عن خطورة هذه الحياة ، لأننا فى أحيان كثيرة نظن أننا روحيين لمجرد أننا نحب الرب أو أننا نحب الأمور السماوية .. كلا ، فإن قصد الله لا يمكن أن يتم طالما أن الشيطان لا يزال يجد فرصة لتنفيذ أعماله من خلال حياتنا الذاتية التى لم تخضع بعد لموت الصليب .

إن محبة الذات ، والإشفاق على الذات ، والهروب من الصليب ، هذه كلها من ضمن مظاهر حياة النفس ، لأن حياة النفس هدفها الأول هو **صيانة الذات** .. فهى لا تقبل أبداً أن تحتمل الخسارة .. ولهذا السبب فإن الرب يدعونا أن ننكر أنفسنا وأن نحمل صليبنا لكى نميت حياتنا الطبيعية .. فكل صليب يمر علينا هو بمثابة دعوة لنا لإنكار أنفسنا .. لذلك يجب علينا ألا

نتمسك بمحبتنا لذواتنا ، بل أن ننبذ حياتنا بالاستناد على قوة الله .. فإن الرب يحدد لكل واحد منا صليباً خاصاً ويطلب منه أن يحمله .. ومع أن هذا الصليب يكون خاصاً بنا ، إلا أنه دائماً يكون شديد الشبه بصليب الرب .. **فإذا كنا مستعدين أن نحمل صليبنا ، تماماً مثلما كان الرب خاضعاً لصليبه ، فإن قوة صليب المسيح سوف تسرى فى كياننا لإماتة حياتنا الطبيعية** .. ففى كل مرة نقبل الصليب ، تضعف حياتنا الذاتية ، وفى كل مرة نهرب من الصليب ، تتقوى حياتنا الذاتية وتزدهر .

ولم يخبرنا الرب يسوع أن التعامل مع ميولنا الطبيعية هو عملية تتم مرة واحدة فقط .. ففى انجيل لوقا نجد دعوة الرب لنا لحمل الصليب مصحوبة بكلمة « **كل يوم** » (لو ٩ :٢٣) .. فإن حمل الصليب هو عملية مستمرة .. إن **إدانة الخطية فى الصليب** هى حقيقة قد تمت فى الماضى وليس مطلوب منا سوى أن نقبلها .. أما **إماتة حياتنا الذاتية فى الصليب** فهى عملية نحتاج أن نمارسها كل يوم .. وهذا لا يعنى أننا لن نستطيع أن نتخلص من حياتنا الذاتية أو أننا سنتخلص منها لكن ببطء ، كلا بل أن ذلك يعنى فقط أن موتنا عن الخطية يختلف عن موتنا عن الذات .. فإن موتنا عن الخطية تم بموت المسيح : عندما مات هو متنا نحن أيضاً معه .. أما موتنا عن الذات فهذا يتطلب منا أن نصمم بإرادتنا أن ننكر أنفسنا وأن نحمل صليبنا حتى تتحقق قوة صليب المسيح فينا وتُميت ذواتنا .

فالتحرر من الحياة الطبيعية لا يتم فى لحظة واحدة مثل التحرر من الخطية .. فنحن بمجرد أن نستند على عمل الصليب (رو ٦:٦) **نتحرر فى الحال من سلطة الخطية** ومن استعبادها لنا .. هذا ممكن أن يتم فى لحظة واحدة بأكمل صورة .. أما **التحرر من حياة الذات** فهو يحتاج أن يتم بالتدريج .. لأنه كلما اخترقت كلمة الله حياتنا بصورة أعمق (عب ٤ :١٢) ، كلما استطاع الصليب أن يعمل بصورة أقوى ، وكلما تمكن الروح القدس من ربط أرواحنا بالرب يسوع بصورة أكمل .. لأنه كيف يمكننا أن ننكر ذواتنا إذا كنا لا نعرفها بعد ..؟ لذلك فإننا نحتاج أولاً أن كلمة الله تكشف لنا شيئاً فشيئاً عن حقيقة ذواتنا حتى نستطيع أن نرفض كل جزء ينكشف منها أمامنا وأن نسمح للصليب بأن يتعامل مع هذا الجزء .. من هنا كانت أهمية حمل الصليب **يومياً** .. فكلما ازدادت معرفتنا لمشيئة الله ، وازدادت معرفتنا لذواتنا ، كلما استطاع الصليب أن يعمل فينا بأكثر فاعلية.

الصليب ومحبة العالم

يكرر الرب يسوع دعوته للمرة الثالثة قائلاً :

« اذكروا امرأة لوط . من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ، **ومن أهلكها يحييها** » (لو ١٧: ٣٢،٣٣) .

ومع أن هذه الكلمات قد أصبحت الآن مألوفة للقارىء ، إلا أن الرب هنا كان يقصد أن ينبر على وجه آخر من أوجه إنكار النفس وهو : **التخلى عن أمور هذا العالم** .. فكم يبدو أنه من الصعب على المؤمنين أن تتحرر قلوبهم من الارتباط بالممتلكات الأرضية .. لذلك يجب علينا أن ننتبه إلى قول الرب « اذكروا امرأة لوط » .. فإن امرأة لوط لم تستطع أن تنسى ممتلكاتها حتى فى أحرج الأوقات .. إنها لم تحاول أن ترجع إلى سدوم ، فكل ما فعلته هو أنها نظرت إلى الوراء .. ولكن هذه النظرة وحدها كانت كافية للكشف عن حالة قلبها الحقيقية .

فالمؤمن قد يتخلى ظاهرياً عن العالم ، وقد يترك كل شيء وراءه ، ولكنه داخلياً يكون متمسكاً بنفس هذه الأشياء التى تركها من أجل الرب .. فالأمر لا يتطلب منا أن نعود إلى العالم أو أن نعود ونمتلك الأشياء التى تركناها ، حتى نتأكد أن حياة الذات لا زالت تعمل فينا .. كلا ، فإن مجرد نظرة إشتهاء للأشياء المتروكة تكون كافية لإثبات أننا لم نعرف بعد ما هو موقع العالم بالنسبة للصليب .

فعندما تنكسر حياة النفس انكساراً حقيقياً ، لا يستطيع أى شيء من هذا العالم أن يحرك فيما بعد قلب المؤمن .. فإن حياة النفس تنتمى إلى العالم ، ولذلك فهى تحب أمور العالم .. من هنا كانت أهمية تقديم حياة النفس للموت حتى تتحقق فينا كلمات « الموعظة على الجبل » .. وعلى الرغم من أن الرب لم يتكلم فى هذه الموعظة عن عمل الصليب ، إلا أننا نعرف يقيناً أننا إذا لم نتحد مع المسيح فى موته (ليس فقط بأن نموت عن الخطية ، ولكن أيضاً بأن نموت عن ذواتنا) ، فإن كل محاولاتنا لتطبيق تعاليم الرب التى قالها على الجبل تكون بلا جدوى .. قد يبدو علينا ظاهرياً أننا نطيع هذه التعاليم ، ولكن قلوبنا تكون فى الواقع بعيدة عنها .. فالمؤمن الذى تخلى فعلاً عن حياته الذاتية ، هو وحده الذى يستطيع بكل تلقائية وبساطة أن يترك رداءه لمن يريد أن يسلبه ثوبه ..! **فطالما أننا لم نضع ذواتنا على المذبح ، فإننا لن نستطيع أن نتحرر من العالم ومن الأشياء التى فى العالم .**

فلكى نربح الحياة الروحية ، يجب علينا أن نقبل الخسارة .. **فالحياة الروحية لا تُقاس بحجم « المكسب » ولكن بحجم « الخسارة »** .. **والقوة الحقيقية** لا تكمن فى مقدار ما عندنا ، **ولكن فى مقدار ما فقدنا** .. فأكثر الناس استعداداً للتجرد هم **أكثر الناس قدرة على العطاء** .. ومقياس المحبة الحقيقى هو فى القدرة على البذل والتضحية .. فلكى تنفصل قلوبنا عن محبة العالم يجب أن ذواتنا تجتاز الصليب .

« وقبلتم سلب أموالكم بفرح » (عب ١٠ : ٣٤) .. هؤلاء المؤمنون لم يحتملوا سلب أموالهم فحسب ، ولكنهم قبلوا هذا الأمر بفرح .. هذا هو عمل الصليب .. فإن موقف المؤمن من ممتلكاته هو الذى يبين بوضوح ما إذا كان قد تحرر فعلاً من حياته الذاتية أم أنه لا يزال متمسكاً بها .

فإذا كنا نريد أن نسلك سلوكاً روحياً نقياً ، يجب علينا أن نسمح لله بأن يعمل فينا لكى يقتلع من قلوبنا كل محبة للعالم ، ولكى يحررنا تماماً من داء امرأة لوط .. هذا هو الشرط الأساسى لكل من يريد أن يحيا حياة كاملة فى المسيح .. فنحن لن نستطيع أن نحتقر أمور الأرض إلا بعد أن يعلن لنا الروح القدس عن حقيقة السماء وعن الحياة السماوية الصحيحة .. لقد بدأ الرسول بولس اختباره فى فيلبى ٣ بأن حسب كل شىء خسارة ، وانتهى بأن **خسر كل الأشياء** وحسبها نفاية لكى يربح المسيح (فى ٣ : ٨) .. عندئذ فقط استطاع الرسول أن **يعرف المسيح وقوة قيامته** (فى ٣ : ١٠) .. هذه هى الطريقة الوحيدة لمعرفة المسيح .. فنحن كثيراً ما نظل غير مدركين لسطوة الذات فينا إلى أن يتم امتحانها بالارتباط بالأمور المادية .. فإننا قد نكتشف عندئذ أنه من الأسهل علينا أن نفقد حياتنا من أن نفقد ثروتنا ..!

فالمؤمن الذى يهتم بالأكل والشرب والراحة والمتعة ، يحتاج أن يختبر الصليب بصورة أعمق لكى تتحرر روحه من قيود النفس ليعيش لله .. فكل من يظل متعلقاً بأمور العالم لا يكون قد تعلم بعد كيف يفقد ذاته عند الصليب .

الصليب وقوة الحياة الطبيعية

يتكلم الرب يسوع عن حياة النفس أو الحياة الطبيعية مرة أخرى فى انجيل يوحنا فيقول :

« الحق الحق أقول لكم ، إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها . ولكن **إن ماتت تأتى بثمر كثير** . من يحب نفسه يهلكها ، **ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية** » (يو ١٢ : ٢٤، ٢٥) .

وبعد ذلك يفسر الرب معنى هذه الكلمات فيقول :

« وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىَّ الجميع » (يو ١٢ : ٣٢)

يسجل الأصحاح الثانى عشر من انجيل يوحنا أكثر اللحظات نجاحاً فى حياة الرب يسوع .. فهو قد أقام لعازر من الموت ، وآمن به يهود كثيرون ، ثم دخل إلى أورشليم منتصراً ، وكانت الجماهير تهلل وتنادى به ملكاً .. فمن وجهة النظر البشرية ، لم تكن هناك أى ضرورة للصليب فى ذلك الوقت ، إذ أنه كان يستطيع بكل سهولة أن يجذب الناس إليه بدون أن يذهب إلى الصليب .. ولكنه كان يعلم تماماً أنه مهما كان العمل ناجحاً إلا أنه لن يستطيع أن يمنح حياة للناس بدون أن يذهب إلى الصليب .. فالصليب كان هو الطريق الوحيد للخلاص ، وموته كان هو الوسيلة الوحيدة لجذب الناس إليه ولمنحهم حياة .

ويوضح لنا الرب فى يوحنا ١٢ معنى الصليب بطريقة مبسطة .. **فهو** يشبه نفسه بحبة حنطة .. إذا لم تقع هذه الحبة فى الأرض وتمت ، **فهى** تبقى وحدها .. أما إذا صُلب ومات فإنه يعطى حياة لكثيرين .. الموت هو الشرط الوحيد .. **بدون موت لا يمكن أن يكون هناك ثمر** .. فليس هناك طريق آخر للإثمار إلا بالموت .

إن هدفنا هنا ليس أن ندرس فقط عن الرب يسوع ، ولكننا نريد أن نشير بصفة خاصة إلى تطبيق هذا الكلام على حياتنا الطبيعية .. فالرب يسوع يتكلم فى ع ٢٤ عن نفسه كحبة الحنطة ، ولكنه فى ع ٢٥ يوجه الكلام إلى تلاميذه طالباً منهم أن يسيروا فى نفس خطواته .. فقد شبَّه حياتهم الذاتية بالحبة .. وكما أن الحبة لا تستطيع أن تأتى بثمر إلا إذا ماتت ، كذلك فإننا لن نستطيع أن نأتى بثمار روحية إلا إذا ماتت حياتنا الطبيعية .. فالرب هنا يتكلم عن الثمر .. **فعلى الرغم من أن حياتنا الذاتية تتمتع بقوة طبيعية هائلة ، إلا أنها لا تستطيع أن تأتى بثمر** .. فكل طاقات النفس ومواهبها وحكمتها وقدراتها لا تستطيع أن تؤهلنا للإتيان بثمر .. وكما أن الرب يسوع كان ينبغى أن يموت لكى يأتى بثمر ، كذلك نحن أيضاً يجب علينا أن نموت لكى نثمر .. فالطاقة النفسية ليس لها أدنى فائدة فى قضية الإثمار لله .

إن أعظم خطر يواجه المؤمنين فى الخدمة هو الاعتماد على ذواتهم وعلى طاقاتهم الطبيعية (مواهبهم ، ومعلوماتهم ، وجاذبيتهم وفصاحتهم ، وبراعتهم) .. ويؤكد جميع المؤمنين الروحيين أن حياة النفس إذا لم تُسلَّم للموت على الدوام ، فإنها لا بد أن تتدخل وتترك بصماتها على الخدمة .. وإذا كان ذلك صحيحاً بالنسبة للمؤمنين الروحيين فكم يكون الحال مع أولئك الذين لا يريدون أن يتخلوا عن حياتهم الذاتية ..؟ فكل ما ينتمى إلى الحياة الطبيعية يجب أن يموت حتى نكف عن الاعتماد عليه ، وهكذا نسير فى ظلمة الموت بلا عون ولا توضيح ولا أشياء منظورة أو محسوسة بل بثقة هادئة فى الله الذى لا بد أن يتمم عمله فينا ثم يقيمنا فى النهاية إلى حياة روحية مجيدة .. « من يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية » (يو ١٢ : ٢٥) .. فالنفس لا تتلاشى بالموت ، ولكنها فقط تصبح مؤهلة لتوصيل حياة الله لنا .. فالاحتفاظ بحياة النفس يجلب خسارة كبيرة على المؤمن ، أما فقدها فهو يحفظها إلى الأبد .

وهذه الآية لا تعنى بالطبع تعطيل أذهاننا ومواهبنا .. كلا فكما أن إبطال جسد الخطية (رو ٦ : ٦) لا يعنى إلغاء وظيفة اليدين والرجلين والعينين والأذنين ، كذلك فإن إماتة حياة النفس لا تعنى إلغاء وظائفها .. فعلى الرغم من أن جسد الخطية قد أُبطل إلا أن أعضاءنا تظل تعمل « كآلات بر لله » (رو ٦ : ١٣)

.. وكذلك أيضاً فعلى الرغم من صلب حياة النفس ، إلا أن وظائف النفس سوف تظل تمارس عملها بصورة جديدة تحت زمام الروح القدس .. فنحن لا نتحول إلى جماد منعدمى المشاعر والفكر والإرادة .. كلا ، فإن كل أعضاء الجسد وكل وظائف النفس تظل موجودة ، ويجب علينا أن نستخدمها بكامل كفاءتها ولكن تحت سلطان الروح القدس .. فالفارق الوحيد هو أنه بعد أن كانت طاقات النفس تعمل بدافع من الحياة الطبيعية ، فإن هذه الحياة قد تم فيها الآن حكم الموت ، وأصبحت النفس تعمل بدافع من حياة الله الساكنة فى أرواحنا .

وهنا دعونا نتوسع قليلاً فى هذه النقطة .. فإن صلب حياة النفس لا يعنى أننا سنفقد وظائف النفس : الفكر ، والمشاعر ، والإرادة .. فالكتاب المقدس يخبرنا بوضوح أن الله له أفكار ومقاصد ورغبات وفرح ومحبة .. كما أنه يَذكر أيضاً عن الرب يسوع أنه أحب ، وتهلل ، وحزن ، وبكى ، وأنه قدَّم طلبات وتضرعات بصراخ شديد ودموع فى بستان جثسيمانى .. فهل كانت وظائف نفسه ملغية ..؟ كلا ، فإن نفس الإنسان هى ذات الإنسان ، هى مكان شخصية الإنسان ، **لذلك فهى لا يمكن أن تُلغى ، ولكنه فقط بدلاً من أن تستمد حياتها من حياة الذات الطبيعية ، فهى تستمد حياتها من حياة الروح ..** لذلك يجب علينا أن نسلِّم للموت قوة النفس حتى تستطيع قوة

الروح القدس أن تعمل فى جميع أجزاء نفسنا بدون عائق من الحياة الطبيعية .

هذه هى القيامة .. فبدون حياة الله لا يمكن أن تكون هناك قيامة بعد الموت .. لقد كان الرب يسوع يمتلك حياة الله فى داخله ، ولذلك فهو قد استطاع أن يقوم بعد الموت .. لأن حياة الله لا يمكن أن تموت .. لقد سكب الرب يسوع للموت **نفسه** ، أما **روحه** (التى كانت تحتوى على حياة الله) فلقد استودعها بين يدى الله .. فالموت حرره من حياة النفس وأطلق حياة الروح فى كامل بهائها .

إنه من الصعب علينا أن نفهم لماذا ، بعد أن يعطينا الله حياته ، يعود فيطلب منا أن نموت مع المسيح ونُقام بقوة حياته فينا .. ولكن هذا هو قانون الحياة فى نظر الله .. فطالما أننا نمتلك حياة الله ، فإننا سوف نقدر أن نجتاز الموت مراراً عديدة ونقوم أحياء .. وفى كل مرة سوف نفقد مزيداً من حياتنا الذاتية بالموت ونكتسب مزيداً من حياة الله بالقيامة .

إن هدف الله هو أن يسترد حياتنا النفسية بالموت والقيامة .. فعندما نموت اختبارياً ونقوم بفعل حياة الله فينا ، تقوم أيضاً نفوسنا وتصبح قادرة أن تثمر للحياة الأبدية .. هذا درس من أعمق الدروس فى الحياة الروحية .. كم نحتاج أن يعلن لنا الروح القدس عن أهمية الموت والقيامة ، وأن يعطينا فهماً لحجم الخسارة

الروحية التى سنتكبدها إذا لم نبغض حياتنا الطبيعية وإذا لم نسلمها للموت .. فعندما تجتاز نفوسنا الموت بصحبة حياة الله الساكنة فينا ، وتقوم مرة أخرى معها ، فعندئذ فقط سوف نقدر أن نأتى بثمار روحية ، وبالتالى أن نحفظ نفوسنا لحياة أبدية .

٥ ـ المؤمنون الروحيون و النفس

الفصل بين الروح والنفس

لقد كان هدفنا من مناقشة الفروق بين الروح والنفس بكل هذا التفصيل هو أن نصل إلى هذه النقطة .. فليس هناك شيء يجب أن يخافه المؤمن الذى يسعى نحو الله مثل أن يتعدى نشاط النفس حدوده المرسومة من الله .. فالنفس قد ظلت مسيطرة لمدة طويلة على الإنسان ، ولذلك فإنها تحب أن تقوم بكل شيء بنفسها حتى فيما يتعلق بإرضاء الله .. إن معظم المؤمنين يجهلون ضرورة الخضوع للصليب للتحرر من طاقة النفس الطبيعية .. وهم أيضاً لا يعلمون أن الروح القدس الساكن فيهم له حق السيادة على جميع الأفكار والمشاعر والرغبات .. وبسبب هذا الجهل فإن الروح القدس يكون عاجزاً عن إتمام قصده .. إن أعظم خدعة يقع فيها المؤمن الغيور هى أن يحاول استخدام قوته الشخصية فى خدمة الله بدلاً من أن ينتظر فى خضوع حتى يتمم فيه الروح القدس ما يريده الله .

إن دعوة الرب لنا هى أساساً دعوة لرفض حياتنا الطبيعية ، دعوة لإهلاكها وليس للمحافظة عليها .. فالله يريدنا أن نتخلى عن ذواتنا وأن نخضع بالكامل لعمل روحه .. فإذا كنا نريد أن نحيا حياة الله فى ملء قوتها الحقيقية ، يجب علينا أن نسلِّم للموت جميع أفكارنا وآرائنا ومجهوداتنا .. ويشير الرب بصفة

خاصة إلى مسألة إبغاض حياة الذات .. فالنفس تتميز دائماً بحب الذات .. لذلك فإننا إذا لم نبغض بشدة حياتنا الطبيعية ، فإننا لن نقدر أن ننقاد بالروح القدس .. فهل نحن ندرك ذلك حقاً أن المطلب الأساسي للسلوك بالروح هو أن نتحذر من الذات ومن حكمتها وأن نعتمد اعتماداً كلياً على الروح القدس ؟

إن هناك حرب خفية تدور بإستمرار بين الروح والنفس داخل المؤمن .. النفس تصارع لكى تحافظ على سلطانها وعلى إستقلالها ، والروح تصارع لكى يكون لها السيادة ولكى تضمن لله سلطانه على الكيان .. وقبل أن تأخذ الروح مكان القيادة ، كانت النفس هى المسيطرة على كل شيء .. فإذا أصر المؤمن على إعطاء السيادة للذات ، وفى نفس الوقت توقع من الروح القدس أن يساعده ويبارك عمله ، فإنه لا بد أن يفشل فى الإتيان بثمر روحى .

فإذا كنا نريد أن نعمل أعمالاً ترضى الله ، يجب علينا أولاً أن نرفض حياة النفس وأن نجردها على الدوام من منصب القيادة .. لأننا إذا لم نحكم بإستمرار على حياتنا الطبيعية ، وإذا لم نكن متيقظين على الدوام حتى نميت كل أنشطتها وقدراتها أولاً بأول ، فإنها لا بد أن تنتهز أى فرصة لكى تنتعش وتنمو من جديد .. **إن أهم سبب للفشل فى المجال الروحى ، هو عدم التعامل مع الذات بطريقة حاسمة** . فإننا إذا أشفقنا على ذواتنا من الصلب

وسمحنا لها ان تمتزج بأرواحنا ، فماذا يمكننا أن نتوقع سوى الهزيمة ..؟ فإذا لم يكن سلوكنا تعبيراً صافياً عن حياة الله فينا ، فإنه لا بد أن نقع فريسة للحكمة والمنطق البشريين .

ليس هناك شك فى أن حياتنا الطبيعية تشكل عقبة هائلة أمام الحياة الروحية .. فهى لا يمكن أن تكتفى بالله وحده ، ولكنها تريد دائماً أشياء إضافية ، ولذلك فهى لا تهدأ أبداً .. فقبل أن يتعامل الله مع حياة الذات يكون المؤمن محمولاً بشتى المشاعر والمؤثرات التى لا تكف عن التغير .. ولهذا السبب فإن حياته تكون متذبذبة وسلوكه يكون غير مستقر وبالتالى فإنه يكون غير مؤهل لمساعدة الآخرين .

إن **طاقة النفس غير المنكسرة** تمنع الروح من أداء وظائفها .. لذلك فإن المؤمن الذى يسمح لطاقاته النفسية أن تتداخل مع اختباراته الروحية ، لن يقدر أن يسلك سلوكاً روحياً .. فهو عندما تثور عواطفه ، تفقد روحه حريتها وحساسيتها .. وعندما يقع تحت تأثير مشاعر الفرح أو الحزن ، يفقد ضبطه لنفسه .. وعندما ينشط ذهنه ، تنزعج روحه وتفقد سلامها .. فالمعرفة الروحية شيء عظيم ، ولكنها إذا تعدت حدود الروحانية فهى تصبح حرفاً قاتلاً بدلاً من أن تكون روحاً محيياً (٢كو ٣:٦) .. وهذا يفسر لنا لماذا على الرغم من روعة الحقائق الروحية التى يعظ بها بعض الخدام إلا أنها تكون جامدة وباردة وميتة .

وهناك ظاهرة غريبة تجمع بين معظم المؤمنين الذين يريدون أن يسلكوا سلوكاً روحياً ، هذه الظاهرة هى **الأنين والتذمر** ، والسبب هو أن أرواحهم ونفوسهم ليست على وفاق .. فإن أفكارهم وإرادتهم ومشاعرهم دائماً فى تمرد ضد الروح ، فهى لا تريد أن تخضع لها بل تريد أن تعمل بالاستقلال عنها وعن أوامرها .. إن مثل هذا المؤمن لا يمكن أن يحقق أى تقدم روحى .

والكتاب المقدس يعطينا علاج هذه الحالة فى عب ٤:١٢ « كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى **مفرق النفس والروح** والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » .. هنا يعلمنا الروح القدس كيف نفصل اختبارياً بين الروح والنفس .. وهذا ليس مجرد تعليم بل هو أساساً مسألة حياة .. إنه ضرورة فى حياة المؤمن .

ولكن ما هو المقصود من **الفصل بين الروح والنفس** ..؟ إنه يعنى قبل كل شىء أن الله بواسطة روحه الساكن فينا وباستخدام كلمته ، يعطينا الإمكانية أن نميز اختبارياً بين أعمال الروح وأعمال النفس ، وأن نفرق بين ما هو من النفس وما هو من الروح .

وهناك معنى آخر متضمن فى هذه العبارة وهو أن المؤمن ، إذا توفرت لديه الرغبة والإرادة ، فإنه يكون فى استطاعته أن يسلك **سلوكاً روحياً نقياً غير مختلط بأى شوائب من النفس** .. فالروح

القدس فى عب ٤ يتكلم عن خدمة الرب يسوع كرئيس الكهنة ويوضح علاقة هذه الخدمة بنا .. ففى ع ١٢ يقول أن « كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » .. ثم فى ع ١٣ يقول أنه « ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شىء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا » .. من هنا نستطيع أن نفهم كيف يقوم الرب يسوع بعمله كرئيس كهنة تجاه أرواحنا ونفوسنا .. فالروح القدس يشبِّه هنا المؤمن بالذبيحة الموضوعة على المذبح .. عندما كان الشعب قديماً يقدم محرقة ، كان أولاً **يربط الذبيحة إلى المذبح** .. ثم يأتى الكاهن ويذبحها بسكين حاد ويشقها إلى نصفين ، **ويخترق بالسكين** حتى يصل إلى مفرق المفاصل والنخاع ، وذلك حتى يكشف كل ما كان مخفياً عن العين البشرية .. وبعد ذلك كان **يحرقها بالنار** كتقدمة لله .

ويستخدم الروح القدس هذا التشبيه لكى يوضح لنا الدور الذى يقوم به الرب يسوع معنا .. فكما أن الكاهن قديماً كان يستخدم السكين لتقطيع ذبيحة المحرقة وفصل أجزاءها حتى أن المفاصل والنخاع كانت تُفصل عن بعضها ، كذلك أيضاً فإن الرب يسوع ـــ رئيس كهنتنا ـــ يستخدم كلمة الله لكى يفصل بين أرواحنا ونفوسنا ، وذلك حتى لا تعود النفس تؤثر على الروح ولا تعود الروح تقع تحت سيطرة النفس ، بل أن كل منهما تأخذ مكانها الصحيح بلا اختلاط ولا امتزاج .

وكما أن كلمة الله فى بداية الخليقة فصلت بين النور والظلمة ، كذلك أيضاً فهى تعمل الآن فى داخلنا للفصل بين الروح والنفس .. وبهذه الطريقة فإن أرواحنا ، التى هى مكان سكنى الله ، تصبح فى انفصال تام عن نفوسنا بكل ما تحويه من رغبات وشهوات .. وعندئذ تقدر أرواحنا أن تقوم بدورها على أكمل وجه كمسكن للروح القدس ، أما نفوسنا فهى لا تعود تعمل بصفة مستقلة ، بل على العكس فإنها تكون مستعدة بكل طاقاتها وإمكانياتها أن تعمل إرادة الله التى يعلنها الروح القدس لأرواحنا .

وكما كان الكاهن قديماً يقطع الذبيحة ، كذلك فإن كاهننا الأعظم يفصل بين نفوسنا وأرواحنا .. وكما أن سكين الكاهن كانت حادة جداً بحيث تقدر أن تشق الذبيحة نصفين وتفصل المفاصل عن النخاع ، كذلك فإن كلمة الله ـــ السكين التى يستخدمها معنا الرب يسوع ـــ هى أمضى من أى سيف ذى حدين وتستطيع أن تفصل أدق ارتباط بين الروح والنفس .

إن كلمة الله « حية » لأنها قادرة على إعطاء حياة .. « وفعالة » لأنها تعرف كيف تقوم بعملها .. « وأمضى من كل سيف ذى حدين » لأنها تستطيع أن تصل إلى ما هو أعمق من النفس ، فهى تستطيع أن تصل إلى الروح الداخلية .. نعم ، إن كلمة الله تستطيع أن تقودنا إلى مجال أعمق من مجال المشاعر ،

وهو مجال الروح الأبدية .. فإذا كنا نريد أن نكون ثابتين فى الله يجب علينا أن نفهم ما هو معنى أن كلمة الله تخترق كياننا بعمق وتصل إلى أرواحنا .. فإن الروح القدس هو وحده الذى يستطيع أن يعلمنا ما هى حياة النفس وما هى حياة الروح .. وبعد أن نعرف كيف نفرق اختبارياً بين هذين النوعين من الحياة ، عندئذ فقط سوف نقدر أن نتحرر من الحياة الحسية الضحلة المتقلقلة وأن نبدأ نسلك سلوكاً روحياً ثابتاً وطيداً .. وعند هذه النقطة نكون قد وصلنا إلى الراحة .. فإن حياة النفس لا يمكن أن تمنح راحة .. ولكن حذار من أن نكتفى بفهم هذه الأشياء فى عقولنا .. فهذه الأمور يجب علينا أن نعرفها اختبارياً ، وإلا فإن الفهم العقلى وحده سيكون بمثابة غذاء لحياة النفس .

ولكى تقوم كلمة الله بعملية الفصل بين الروح والنفس ، فإنها تحتاج أن تخترق كل من النفس والروح .. عند الصليب اخترقت المسامير يدى الرب يسوع ورجليه ، واخترقت الحربة جنبه .. **فهل نحن مستعدون أن الصليب يجتاز فى نفوسنا وأرواحنا ..؟** لقد اجتاز سيف فى نفس العذراء مريم (لو ٢:٣٥) .. فعلى الرغم من أن « ابنها » كان مُعطى لها من الله ، إلا أنها كان ينبغى أن تتركه يؤخذ منها ، وأن تتخلى عن كل حقوقها عليه .. لقد كانت نفسها تميل بشدة إلى التمسك به ، ولكنها كان ينبغى عليها أن تنكر عواطفها الطبيعية .

إن اختراق كلمة الله لنفوسنا وأرواحنا لا يعنى فقط أنها تفصل بينهما ، ولكنه يعنى أيضاً أنها تُحدث شرخاً فى النفس .. فالنفس تغلف الروح وتحيط بها من كل جانب ، لذلك فإن كلمة الله لا تستطيع أن تصل إلى الروح إلا إذا كسرت هذا الغلاف .. **إن الصليب لا بد أن يخترق النفس ويشق فيها طريقاً حتى تستطيع حياة الله أن تصل إلى الروح فى الداخل لتحررها من قيود النفس** .

وبعد أن تُختم النفس بختم الصليب ، يصبح فى إمكانها أن تقوم بدورها الصحيح تحت سيادة الروح .. أما إذا رفضتْ النفس أن تكون مَعبَراً إلى الروح ، فإنها لا بد أن تكون قيداً لها .. وهذان الاثنان لا يتفقان أبداً .. فقبل أن تتخذ الروح مكانها الصحيح فى السيادة ، تكون النفس دائماً فى عداء معها .. وعندما تبدأ الروح تجاهد لكى تحصل على حريتها وعلى حقها فى السيادة ، تبذل النفس أقصى جهدها لكى تعوقها .. لذلك فإنه فقط بعد أن يعمل الصليب عمله فى حياة النفس ، تحصل الروح على حريتها .

إن عدم التوافق بين الروح والنفس له نتائج وخيمة ، لذلك يجب علينا أن نعرف أننا إذا تجاهلنا هذه النتائج ، أو إذا رفضنا التخلى عن متعة السلوك الحسى ، فإننا لن نقدر أن نحقق أى تقدم روحى .. طالما أن النفس مستمرة فى فرض حصارها على الروح ، لن تستطيع الروح أن تتحرر .

ويمكننا هنا أن نستنتج من هذا الجزء الكتابى أن الفصل بين الروح والنفس يعتمد على شيئين هما : الصليب ، وكلمة الله .. **فقبل أن يستخدم الكاهن السكين ، ينبغى أولاً أن الذبيحة توضع على المذبح** .. ونحن نعرف أن المذبح فى العهد القديم يشير إلى الصليب فى العهد الجديد .. لذلك يجب علينا ألا نتوقع أن كاهننا الأعظم ، الرب يسوع ، سوف يقدر أن يستخدم سيف كلمته الحاد للفصل بين نفوسنا وأرواحنا ، ما لم نخضع بإرادتنا للصليب ونقبل أن نموت .. فإذا كنا نريد أن نختبر الفصل بين الروح والنفس ، يجب علينا أولاً أن نضع أنفسنا على المذبح بلا تحفظ واثقين أن رئيس كهنتنا سوف يستخدم سيفه بمهارة لإجراء عملية الفصل .. فالتواجد على المذبح هو عملنا نحن الإرادى ، أما استخدام السيف فهو عمل الكاهن الأعظم .. يجب علينا أن نقوم بدورنا بكل إخلاص وأمانة ، ثم نثق بعد ذلك أن كاهننا الأمين سوف يتمم العمل ، وأنه فى الوقت المناسب سوف يقودنا إلى كمال الاختبار الروحى .

نحن نحتاج أن نسير فى خطوات ربنا يسوع المسيح .. فكما أنه سكب للموت **نفسه** (إش ٥٣ : ١٢) وأسلم **روحه** لله (لو ٢٣ : ٤٦) ، يجب علينا نحن أيضاً أن نعمل مثله .. فإننا إذا سكبنا أنفسنا فعلاً ، وسلَّمنا أرواحنا لله ، فلا بد أن نختبر قوة القيامة وكمال الحياة الروحية .

التطبيق العملى

لقد رأينا فى هذا الجزء كيف أن رئيس كهنتنا لا بد أن يقوم بعمله إذا توافرت لدينا الطاعة والرغبة فى حمل الصليب .. والآن نريد أن نستعرض الجانب العملى لهذا الاختبار .. فلكى نحصل من الرب يسوع على اختبار الفصل بين الروح والنفس يجب علينا :

أولاً : أن نعرف أهمية الفصل بين الروح والنفس :

فبدون هذه المعرفة ، لن نستطيع أن نطلب هذا الأمر .. لذلك يجب علينا أن نطلب من الله أن يكشف لنا عن فساد الحياة التى تكون فيها النفس مختلطة بالروح ، وأن يكشف لنا أيضاً عن حقيقة الحياة الروحية النقية الخالية من كل شوائب النفس التى من حقنا أن نحياها فى الله .

ثانياً : أن تكون لدينا الرغبة فى الحصول على هذا الاختبار :

وبعد أن نعرف أهمية الفصل بين الروح والنفس ، يجب أن تكون لدينا رغبة حقيقية فى القلب واحتياج مُلحّ للتحرر من حياة النفس .. فالمسألة هنا تكون مسألة إرادة .. فإذا كنا لا نريد أن نحيا حياة الفصل بين الروح والنفس ، بل كنا نُفضِّل أن نحيا الحياة التى تروق لنا ، فإن الله سوف يحترم إرادتنا ولن يفرض علينا أبداً مثل هذا الاختبار .

ثالثاً : أن نخضع بصورة واضحة وأن نسلم أنفسنا للصليب :

فإذا كنا نريد أن الله يفصل بين أرواحنا ونفوسنا ، يجب علينا أن نضع أنفسنا على المذبح بطريقة واضحة .. يجب علينا أن نتشبه بموت الرب وأن نقبل كل متطلبات الصلب .. فقبل أن يبدأ الرب فى إجراء عملية الفصل بين الروح والنفس ، يجب أن تكون إرادتنا متجهة بصفة مستمرة نحو الله .. وأثناء قيامه بالعمل يجب أن تكون كل رغبة قلوبنا هى ألا يتوقف الله عن انجاز عمله فينا حتى النهاية .

رابعاً : أن نستند إلى رو ٦ : ١١

« احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » .. فنحن نحتاج أن نكون فى يقظة مستمرة لئلا — أثناء سعينا وراء اختبار فصل الروح عن النفس — نقع مرة أخرى فى قبضة الخطية .. فإن الموت عن الخطية هو أساس الموت عن حياة النفس .. لذلك يجب علينا أن نبنى أنفسنا يومياً على رو ٦ : ١١ وأن نحسب أنفسنا فعلاً أمواتاً عن الخطية .. ويجب علينا أيضاً أن نستند إلى رو ٦ : ١٢ فلا نسمح للخطية بأن تسود مرة أخرى على جسدنا المائت .. فبهذه الطريقة ، لن تستطيع حياتنا الطبيعية أن تجد أى فرصة لعمل الخطية .

خامساً : أن نصلى وأن ندرس الكتاب المقدس :

يجب علينا أن ندرس الكتاب المقدس فى تأمل وصلاة ،

وأن نعطى الفرصة لكلمة الله أن تخترق نفوسنا بعمق حتى تستطيع أن تنقى حياتنا الطبيعية .. فإن حياتنا النفسية لن تستمر فى نشاطها المستقل ، إذا كنا نطيع كلام الله .. وهذا هو معنى القول الذى جاء فى ١بط ٢٢:١ «طهروا نفوسكم فى طاعة الحق» (أو عن طريق طاعة الحق) .

سادساً : أن نحمل الصليب كل يوم :

لكى يقوم الله بفصل أرواحنا عن نفوسنا ، فإنه يضع صلباناً متعددة فى طريقنا ويطلب منا أن نحملها .. فإذا حملنا الصليب يومياً ، وأنكرنا أنفسنا على الدوام ، ولم نُعطِ أى اعتبار للجسد ، وتمكنَّا بقوة الروح القدس أن نميز جميع أنشطة النفس فى حياتنا ، فإننا نكون قد بدأنا نحيا حياة روحية حقيقية .. فالطاعة هى الطريق إلى عزل حياة النفس عن حياة الروح لكى يصبح سلوكنا سلوكاً روحياً نقياً .

سابعاً : أن نحيا بحسب الروح :

وهذا شرط أساسى ليس فقط لحمايتنا بل أيضاً لتعميق الفاصل بين الروح والنفس .. فلنحرص إذاً أن يكون سلوكنا دائماً بالروح ، وأن نميز بين ما هو من الروح وما هو من النفس لنطيع الأول ونرفض الثانى .

* * *

هذه هى الشروط التى يجب علينا أن نتممها ... فإن الروح القدس يحتاج إلى تعاون من جانبنا .. لأن الرب لن يستطيع أن يقوم بدوره ، إذا رفضنا نحن أن نقوم بدورنا .. أما إذا أتممنا واجبنا ، فإن رئيس كهنتنا لن يتوانى عن استخدام سيف روحه للفصل بين نفوسنا وأرواحنا بقوة صليبه .. وهكذا فإنه سوف ينقى أرواحنا من كل متعلقات العواطف والمشاعر والذهن والقدرة الطبيعية ـــ واحدة وراء الأخرى ـــ فلا يترك أى شائبة منها عالقة بالروح .

إن التواجد على المذبح هو دورنا نحن ، أما فصل النفس عن الروح فهو دور كاهننا الأعظم .. فإذا سلَّمنا أنفسنا للصليب تسليماً حقيقياً ، فإن الله لن يفشل فى أداء عمله فينا .. فلا ينبغى علينا أن نقلق من جهة هذا الأمر ، لأننا متى توافرت فينا شروط عمله ، فإن الله لا بد أن يتمم عمله فى حينه.

إن كل من يدرك خطورة امتزاج النفس بالروح ، لا بد وأن يبحث عن طريق للخلاص .. ولكن طريق الخلاص على الرغم من أنها متاحة إلا أنها ليست بلا صعوبات .. لذلك يجب علينا أن نثابر فى الصلاة لكى يعطينا الله أن نرى مدى رداءة حالتنا ولكى نفهم سر عمل الروح القدس الساكن فينا .. إن أقصى ما يُحزن الله الساكن فينا هو أن نسلك ونخدم بحسب حياتنا الذاتية .. فلنحرص إذاً أن نحترم وجود الله فى داخلنا وأن نكف عن إحزانه

لقد كانت أول خطية للإنسان هى السعى للحصول على الحكمة والفهم بحسب أفكاره هو .. وللأسف فإن مؤمنين كثيرين اليوم لا زالوا يقعون فى نفس الخطأ ، غير عالمين أن كل من آمن بالرب وحصل على سكنى الروح القدس ينبغى عليه أن يعطى للروح السلطان الكامل على نفسه .. إننا كثيراً ما نظن أنه طالما أننا صلينا وطلبنا من الروح القدس أن يعلن لنا فكره ، فإن كل شيء نعمله سوف يكون بحسب فكر الله .. هذا الاعتقاد خاطىء تماماً .. فإننا إذا لم نسلِّم للموت كل يوم حياتنا الذاتية بكل ما تحويه من حكمة وقوة ومشاعر ، وإذا لم نصممْ بكل إرادتنا أن نطيع الروح القدس وأن نعتمد عليه ، فإننا لن نستطيع أن نعمل أعمال الله .

يجب علينا أن نعرف أن كلمة الله هى التى تقوم بفصل نفوسنا عن أرواحنا .. وحيث أن **الرب يسوع هو بنفسه كلمة الله الحية** ، لذلك فإنه هو الذى يقوم بهذه العملية .. فهل نحن مستعدين أن حياة الرب وعمله الكامل يقفان بين نفوسنا وأرواحنا ..؟ هل نحن مستعدين أن حياته تملأ أرواحنا إلى درجة أنها توقف كل نشاط لحياة النفس ..؟ وكذلك فإن **الكتاب المقدس هو كلمة الله المكتوبة** .. إنه الأداة التى يستخدمها الرب يسوع ليفصل بين نفوسنا وأرواحنا .. فهل نحن مستعدين أن نطيع الحق ..؟ هل نحن مستعدين أن نعمل بحسب تعاليم الكتاب المقدس بدون أن نضيف إليها أى من آرائنا الشخصية ؟

هل الكتاب المقدس له السلطان الكافى علينا ، وهل نحن مستعدين أن نطيعه بدون أن نلجأ إلى البشر ..؟ إن كل من يريد أن يحيا حياة روحية حقيقية يجب عليه أن يطيع الرب ، ويطيع كل تعاليمه ، لأن هذا هو السيف الفعال الذى يقوم بفصل الروح عن النفس .

النفس تحت سيطرة الروح

لقد سبق أن ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن هناك شبهاً بين الكيان الإنسانى (الروح والنفس والجسد) وبين الهيكل اليهودى القديم ، مكان سكنى الله .. لقد كان الله قديماً يسكن فى قدس الأقداس ، وكان هناك حجاب (أو ستارة) يفصل بين قدس الأقداس والقدس .. وكان هذا الحجاب يحجز مجد الله بداخل قدس الأقداس ويحجبه عن القدس .. لذلك فإن الناس فى هذا الوقت لم يكن فى استطاعتهم أن يعرفوا سوى الأشياء الموجودة فى القدس خارج الحجاب ، أما أمور الله التى وراء الحجاب فلم يكن فى استطاعتهم أن يدركوها إلا بالإيمان .

ولكن هذا الحجاب كان وجوده مؤقتاً .. ففى الوقت المعين والساعة المحددة ، عندما عُلِّق جسد الرب يسوع على الصليب ، انشق حجاب الهيكل (الذى كان يشير إلى جسد الرب ، عب ١٠ : ٢٠) من فوق إلى أسفل ، وهكذا زال الفاصل

بين القدس وقدس الأقداس .. فإن الله لم يكن يشاء أن يظل مسكنه مقتصراً على قدس الأقداس ، بل على العكس ، فإنه كان يريد أن وجوده يمتد ليشمل القدس أيضاً .. ولكنه كان ينتظر أن يتمم الصليب عمله ، لأنه لم يكن شيء سوى الصليب يستطيع أن يشق الحجاب وأن يجعل مجد الله يسطع من داخل قدس الأقداس .

إن الله يريد أن نفس الشيء الذى حدث فى الهيكل قديماً يحدث معنا اليوم .. فإننا إذا سمحنا للصليب أن يتمم عمله فينا ، وخضعنا للروح القدس بلا تذمر ، فإن التقارب بين القدس وقدس الأقداس (أى النفس والروح) سوف ينمو تدريجياً إلى أن نختبر فى النهاية تغييراً عظيماً .. إن الصليب هو الذى يقوم بشق الحجاب ، فعندما يتعمق الصليب فى حياتنا ويشق الحجاب الذى بين نفوسنا وأرواحنا ، فعندئذ سوف تكف نفوسنا عن أن تعمل بالاستقلال عن الروح بل على العكس فإنها سوف تستمد كل طاقتها وقيادتها من الروح .

لقد انشق حجاب الهيكل « من فوق إلى أسفل » (مر ١٥:٣٨) .. وهذا يدل على أن شق الحجاب هو عمل من جانب الله وليس من جانب الإنسان .. فعندما يتم عمل الصليب فينا ، يشق الله الحجاب .. نحن لا نستطيع أن نقوم بشق الحجاب لا بمجهوداتنا ولا بتضرعاتنا .. ولكن فى نفس اللحظة التى فيها يتمم الصليب عمله ، ينشق الحجاب .. فلنجدد

عهودنا إذاً ولنقدم أنفسنا لله بلا تحفظ ، ولنكن دائماً مستعدين أن نسلّم حياتنا الذاتية للموت ، حتى يستطيع الله الساكن فى قدس الأقداس أن يتمم عمله .. فمتى رأى الله أن الصليب قد اجتاز فينا بالدرجة الكافية ، فإنه لن يتوانى عن شق الحجاب بين نفوسنا وأرواحنا تماماً مثلما شق بقدرته الفائقة الحجاب منذ عدة قرون لكى يتدفق الروح القدس من داخل جسده المجيد .

وهكذا سوف يغمر مجد الله وبهاءه حياتنا اليومية المنظورة .. وسوف تتقدس جميع أعمالنا ومجهوداتنا بذات المجد الذى يشع من قدس الأقداس .. ومثلما تكون أرواحنا ، كذلك تكون نفوسنا أيضاً ، يسكن فيها وينظمها روح الله القدوس .. وستمتلىء أفكارنا وعواطفنا وإرادتنا من الروح القدس .. وكل ما حصلنا عليه فى أرواحنا بالإيمان ، سوف نختبره فى نفوسنا أيضاً ، لا ينقص منه شيء ولا يُفقد منه شيء .. يا لها من حياة مجيدة ..! « وملأ مجد الرب البيت ، ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب » (٢أخ ٧:١،٢) .. ففى ضوء مجد الله الساطع لا يكون هناك مجال للنشاط البشرى ، بل يكون الله هو المتسلط على جميع الأعمال .

وهنا نأتى إلى الوجه الآخر لمسألة فصل الروح عن النفس .. ففيما يختص بتأثير النفس على الروح ، يتطلب الأمر أن الصليب يفصل بين الاثنين .. أما فيما يختص بتسلط الروح على

الكيان فإن الصليب يكون هدفه هو إعادة التوافق بين النفس والروح .. فإذا سمحنا للصليب وللروح القدس أن يتمما عملهما فينا ، فإننا سرعان ما سوف نكتشف أن الأشياء التى فقدتها نفوسنا لا تكاد تُذكر بالنسبة للأشياء التى ربحتها .. وعندئذ سوف نختبر كيف أن النفس إذا ماتت تأتى بثمر كثير ، وإذا فقدناها نحفظها إلى حياة أبدية (يو ١٢ : ٢٥) .

فالنفس عندما تصبح تحت سيادة الروح ، تتغير تغيراً عظيماً .. فبعد أن كانت بلا فائدة بالنسبة لله لأنها كانت تعمل لصالح الذات ، فإنها تصبح نافعة لله ، مع أنها قد تبدو فى نظر الناس أنها ميتة .. وبهذه الطريقة فإننا نكون قد اقتنينا نفوسنا بالإيمان (عب ١٠ : ٣٩) .. أى أننا عندما نكف عن السلوك بالعيان وبالحواس ، فإننا نقتنى نفوسنا (أو ننقذها) بالإيمان ، لأنها تصبح بعد ذلك نافعة لخدمة الله وتمجيده .. « فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » .. أى أنه عندما تنغرس فينا كلمة الله ، فإنها تنقل إلينا طبيعتها الجديدة وتجعلنا قادرين على الإتيان بثمر .. فنحن نحصل على حياة الكلمة من كلمة الحياة ، وبقوة هذه الحياة تبدأ نفوسنا تمارس أنشطتها بصورة جديدة ولا تعود تعتمد على قوتها الذاتية كما كانت تفعل من قبل .. هذا هو خلاص النفس الذى يتكلم عنه الرسول بطرس فى (١بط ١ : ٩) .

إن الإنسان بطبيعته يمتلك عاطفة حساسة يسهل إثارتها

بواسطة العوامل الخارجية .. فليس هناك أسهل من أن تتأثر العواطف بالكلمات والأفعال والتصرفات والظروف والمشاعر .. ومن ناحية أخرى فإن ذهن الإنسان أيضاً لا يكف عن التفكير والتخطيط والتخيل ، كما أن إرادته لا تكف عن الاضطراب من أجل تحقيق رغباتها المتعددة .. وباختصار فإن كل أجزاء النفس بدون استثناء لا يمكن أن تمنحنا سلاماً ، إذ أنها تكون بمثابة عالم مضطرب يموج بداخلنا .. ولكن عندما تصبح النفس خاضعة للروح فإنها تتحرر من كل هذا التوتر .. لذلك فإن الرب يسوع يناشدنا قائلاً : « احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا **راحة لنفوسكم** » (مت ١١ : ٢٩) .. فإذا كنا فعلاً مستعدين أن نخضع للرب وأن نحمل نيره ونتبعه ، فإن نفوسنا لن يكون من السهل إثارتها .. فعندما نتعلم من الرب كيف كان ، فى وسط تعييرات الناس واحتقارهم له ، مستمراً فى عمل مشيئة الله وليس مشيئته هو ، فإن نفوسنا سوف تجد راحة وسلاماً .. إن سبب تأذِّى مشاعرنا هو أننا لسنا مستعدين أن يعاملنا الناس كما عاملوا الرب يسوع ، ولسنا مستعدين أن نُخضع أنفسنا لإرادة الله وترتيباته .. أما إذا سلَّمنا طاقاتنا الطبيعية للموت وخضعنا تماماً للرب ، فإن نفوسنا ، على الرغم من كل حساسيتها وعصبيتها ، سوف تجد راحتها فى الله .

فالنفس التى يسود عليها الروح القدس هى نفس **هادئة ومطمئنة** .. فبعد أن كانت تخطط على الدوام ، أصبحت الآن

تثق فى الرب ثقة هادئة .. وبعد أن كانت ممتلئة بالهموم ، أصبحت الآن مثل طفل مستريح على صدر أمه .. وبعد أن كانت تفيض بالأفكار والطموحات ، أصبحت الآن ترى أن مشيئة الله هى الأفضل لها .. فمع الطاعة الكاملة يأتى الفرح الحقيقى ، ومع الخضوع يأتى السلام .

« عاملين مشيئة الله من القلب (أو من النفس) » (أف ٦:٦) .. فنحن لا نعتمد على النفس لعمل مشيئة الله ولكننا نعملها بكل قلوبنا أو **بملء إرادة نفوسنا** .. فالنفس التى كانت قبلاً تنفر من إرادة الله ، أصبحت الآن من خلال عمل الصليب خاضعة لها .. والنفس التى كانت تريد أن تعمل إرادتها الذاتية أو تريد أن تعمل إرادة الله بحسب استحسانها ، أصبحت الآن فى توافق كامل مع الله .

« لا تهتموا لحياتكم (أو لنفوسكم) » (مت ٦:٢٥) .. إن النفس التى يسود عليها الروح القدس **لا تهتم بإحتياجاتها الذاتية** ، إذ أنها تطلب أولاً ملكوت الله وبره ، وتثق أن الله سوف يسدد كل احتياجاتها .. فالنفس الطبيعية شغلها الشاغل هو الاهتمام بالذات ، أما المؤمنين الذين يفقدون ذواتهم عند الصليب ، فإنهم يضعون كل ثقتهم فى الله ولا يجعلون أى اعتبار للذات .. فبعد أن يعمل الصليب عمله فينا ، لا نعود نخطط لأنفسنا فى قلق وهمّ ، ولكننا فقط نطلب ملكوت الله وبره عالمين أننا أثناء

انشغالنا بما لله سوف يكون الله منشغلاً بما لنا .. لقد كنا قبلاً نبهر بالمعجزات ، ولكن الآن أصبح الله — إله المعجزات — هو حياتنا وهو الذى يسدد كل أعوازنا .. لقد أصبحت **قوة الله** هى سندنا وأمامها أصبحت اهتمامات الحياة تبدو كلا شىء بالمرة .

« فإذاً الذين يتألمون بحسب مشيئة الله **فليستودعوا** أنفسهم كما **لخالق** أمين فى عمل الخير » (١بط ٤:١٩) .. إن معظم الناس يعرفون الله كالخالق ، ولكنهم لا يعرفونه كالأب .. أما المؤمنين فإنهم يحتاجون أن يعرفوا الله كالخالق وليس فقط كأب .. فإن صفة الله كالخالق تعلن لنا عن قدرته .. **فالعالم كله هو بين يدى الله ، ليس هناك شىء فى الكون غير خاضع لسلطانه** .. وكذلك فإن كل الأشياء التى تحدث لنا تكون إما بأمره أو بسماح منه .. هذه هى النفس الخاضعة للروح القدس ، نفس تملأها الثقة ولا يتطرق إليها أى شك .

« التصقت نفسى بك » (مز ٦٣:٨) .. النفس الخاضعة للروح لا تعود تطيق الابتعاد عن الله أو الاستقلال عنه بأفكارها .. بل على العكس فإنها **تلتصق به** ، **وتثق فيه** ، **وتتبعه من قرب** .. إنها تطيعه طاعة كاملة ، ليس بالإجبار ولكن بسرور وبحب .

« تعظم نفسى الرب » (لو ١:٤٦) .. هذا هو لسان حال الذين أنكروا حياتهم والتصقوا بالرب .. فإن نفوسهم لم يعد لها أى قيمة فى نظرهم سواء فى السر أو فى العلن .. لقد عرفوا

تماماً حقيقة عجزهم ، فلم تعد لديهم رغبة سوى أن يعظموا الله بقلب متضع .. **لقد كانوا قبلاً يسلبون لأنفسهم مجد الله** ، **أما الآن فقد أصبحوا يمجدونه فى نفوسهم** .. فليس هناك مكان آخر يستطيع الإنسان أن يعظِّم فيه الله سوى النفس .

هؤلاء هم الذين **ليست نفوسهم ثمينة عندهم** (أع ٢٠ : ٢٤) .. وهم أيضاً الذين يقدرون أن **يضعوا نفوسهم لأجل الإخوة** (١يو ٣ : ١٦) .. فالمؤمن الذى لا يتخلى عن محبة الذات لا بد وأن يتراجع إلى الوراء أمام الموت .. أما المؤمن الذى مات عن ذاته وسمَّرها بالصليب ، فإنه يستطيع أيضاً أن يموت من أجل المسيح إذا استدعى الأمر ، وأن يضع حياته من أجل إخوته عند الضرورة .. وذلك لأنه قد تعلَّم فى الأحوال العادية أن ينكر نفسه وأن لا يُطالب بحقوقه أو براحته .. فإن المحبة الحقيقية للرب وللإخوة منبعها الوحيد هو رفض محبة الذات .

« كما أن نفسك ناجحة » (٣يو ٢) .. هذه الحياة هى حياة ناجحة ، ليس نجاحاً مقياسه المكسب ، ولكن نجاحاً مقياسه الخسارة .. فالإنسان الذى يخسر نفسه يربحها لأنه خسرها عند الله .. **إن حياة الذات حياة محدودة ، ولكن إنكار الذات ينقل إلينا حياة الله غير المحدودة** .. هذه هى الحرية ، وهذا هو النجاح .. كلما فقدنا أكثر ، كلما ربحنا أكثر .. كلما أعطينا أكثر ، كلما امتلكنا أكثر .. هذه هى حياة الثمر .

إن التخلى عن حياة النفس ليس أمراً سهلاً .. فحيث أن حياة النفس هى حياتنا **نحن** ، لذلك فإن رفضها يكون بقرار من جانبنا **نحن** .. فإننا نحن الذين نختار بإرادتنا أن نتخلى عن حياة النفس ، وأن نستمد حياتنا من الله .. إننا نحمل الصليب بإرادتنا ناظرين إلى ربنا يسوع الذى احتمل الصليب مستهيناً بالخزى ، وذلك حتى لا نكل ونخور فى نفوسنا (عب ١٢ : ٢،٣) .. إن الجهاد الموضوع أمامنا ليس سوى أن نستهين بالخزى ، وأن نحمل الصليب مثل سيدنا .

« باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس » (مز ١٠٣ : ١) .

جمع تصويرى ـ اخراج فنى ـ طباعة

لوجوس برنت سنتر

ت : ٢٤٢١٧٠٦

٧ شارع ابو المحاسن ـ مصر الجديدة

خلف نادى هليوبوليس

رقم الايداع : ٤٤٠٧ / ٨٨

عزيزى

يسعدنى ان اخبرك بأن الجزء التالى من هذا الكتاب

« الانسان الروحى »

قد تم طبعه وعنوانه : **الروح** الجزء **الرابع** .

ويحتوى على **اربعة** فصول . وهي :ــ

١ ــ الروح القدس وروح المؤمن .

٢ ــ الانسان الروحى .

٣ ــ العمل الروحى .

٤ ــ الصلاة والحرب الروحية .

ثم نلتقى مع باقى اجزاء الكتاب ، ونحن مصلين لاجلك ايها الأخ العزيز ولاجل استخدام هذا الكتاب في بناء حياتك الروحية ونمو علاقتك مع الرب على قاعدة من الفهم والحكمة .

ودمتم في غنى النعمة الالهية

م.م

للاستفسار والمشاركة عنواننا :

القاهرة ــ الحرية ــ هليوبوليس

ص.ب : ٢٤٥٥